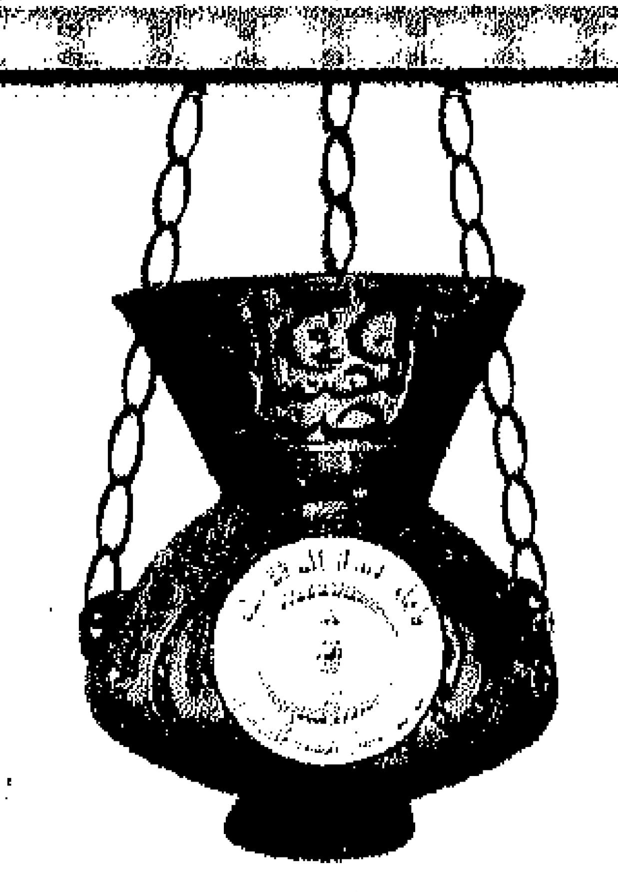
هجمة الشيطان وأعوانه على الإسلام والمسلمين !!



بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي





مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

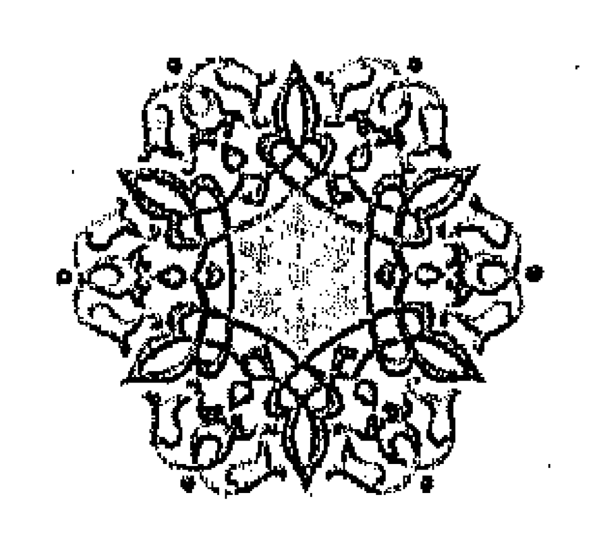
اللجنة العلمية

د. عبد العظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

من اعتز بغير الله ذل

عندما ذهب عمر رضي الله عنه لفتح بيت المقدس - الذي استعصى على المسلمين اليوم - قال له أصحابه: يا أمير المؤمنين؛ فلو لبست هذه الثياب البيض، وركبت هذا البرذون (البغل) لكان أجمل في المروءة وأحسن في المركز وخيرا في الجهاد . فقال عمر: ويحكم لا تعتزوا بغير ما أعزكم الله به فتذلوا! ورأى بعضا من المسلمين وقد لبسوا لباس الروم وتشبهوا بهم في هيئتهم فقال: احثوا في وجوههم التراب حتى يرجعوا إلى هيئتنا ولباسنا وسنتنا.

ثم خطب فقال: يا أهل الإسلام إن الله قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء وورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كُفْرٌ للنعم، وقلَّ ما كَفَر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزهم وسُلِّط عليهم عدوهم!!

فهل تنفع توجيهات عمر رضي الله عنه أم أن بيننا وبينه أكثر من ١٤٠٠ سنة؟!

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com

موقع المجلة على الانترنت www.altawhed.com

موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير جمال سعد حاتم مدير التحرير الفني حسين عطا القراط

في هذا العدد

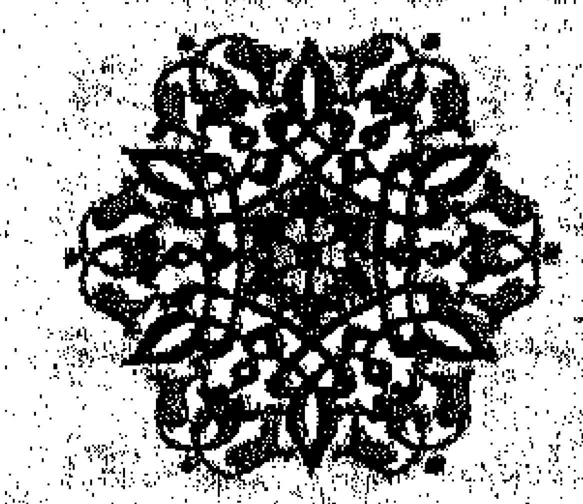
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

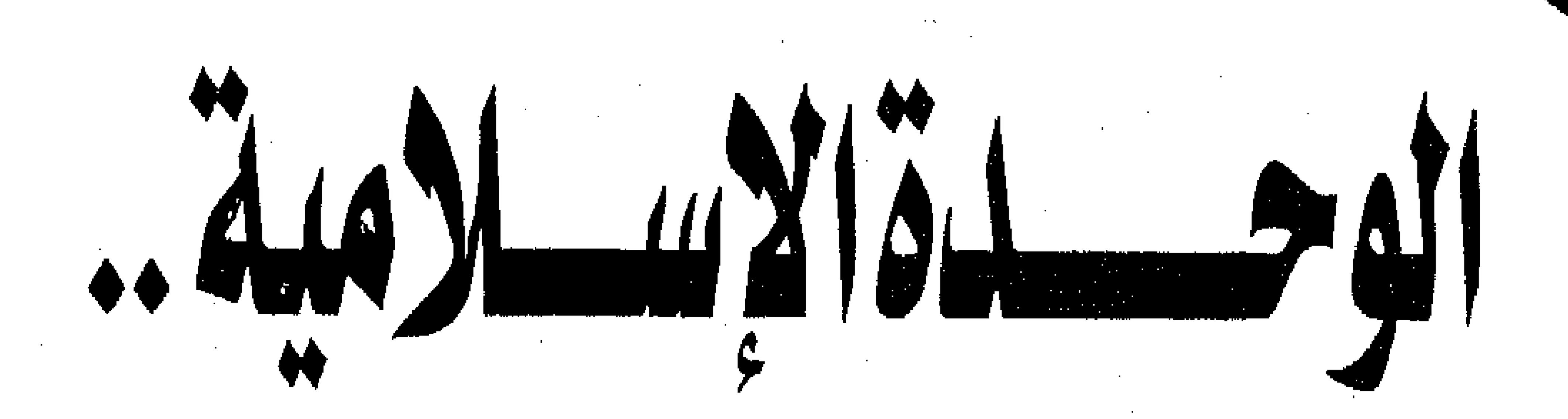
١ - في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

تعيش الأمة الإسلامية حالة من التردي بين طعنات الطاعنين.. وضربات أهل الكفر والحاقدين على الإسلام والمسلمين فها هم أعداء الإسلام يحاولون جاهدين فرض ما أسموه بالشرق الأوسط الكبير، والشرق الأوسط الأوسع في محاولة لتذويب الهوية الإسلامية والهوية العربية.. ووسط كل هذا وذاك لا نجد بدًا من التآلف والوحدة.

ولا شك أن العاقل يرى أن الوحدة ضرورة واجبة يوجبها العقل، وأن الفرقة داء قاتل يرفضه العقل، فالوحدة قوة، والفرقة ضعف، الوحدة أمان والفرقة هلكة.

والنصوص الشرعية تحث المسلمين على الوحدة حول كتاب الله عز وجل، وشرعه ومنهاجه.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٣-١٠٥].

فنحن جميعا مأمورون بالتمسك بحبل الله المتين، بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

نحن جميعا مطالبون بأن نتعلم من ماضينا حتى نعمل في حاضرنا ولمستقبلنا، بأن نلجأ إلى الله تعالى نطلب منه أن يمن علينا بالتآلف والتآزر، وأن يجنبنا العداوة والبغضاء فهو سبحانه أهل ذلك والقادر عليه ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣].

نحن جميعا مطالبون بأن نأخذ بأسباب الوحدة، وأن نعمل على نبذ الفرقة والاختلاف، حتى لا نكون كأولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

ورسول الله ﷺ يدعو إلى الوحدة ويحث عليها، ويحذر من الفرقة، فعبادة الله وحده لا شريك له، والاعتصام بحبل الله المتين، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين كلها أركان

وليس الشرق الأوسط الكبير

بقلم

الرئيس العام

يقوم عليها صرح الدولة الإسلامية.

«إن الله يرضى لكم ثلاثا... يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشكروا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» [أحمد ومسلم ومالك].

«ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

تصور مستقبلي للوحدة الإسلامية

إن السبيل إلى الوحدة واضح ولكننا أبينا إلا الافتراق والاختلاف وضيعنا أحد فروض الدين، ولكن لهذا الدين رب لا يضيعه.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وكما تنبأ رسول الله ﷺ بالفرقة التي تشتت شمل الأمة، تنبأ أيضا بالوحدة بعد الفرقة، وبأن الساعة لن تقوم حتى يمكن الله للمسلمين في الأرض.. «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» [رواه مسلم].

«وليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز به الله الإسلام، وذلا يذل به الكفر». [أحمد والطبراني وصححه الألباني].

في منتصف القرن العشرين عقب إلغاء الخلافة العثمانية، وتقسيم الأقاليم الإسلامية بين المستعمرين نهائيا هبت شعوب العالم الإسلامية تبغي الاستقلال التام وعدم التبعية للمستعمرين، وقد كان لها ما أرادت، واستقلت الأقاليم الإسلامية، ولكن التبعية للاستعمار قد بقيت بشكل أو بآخر وقنعت كل الأقاليم الإسلامية باستقلالها مع ضعفها، وتناست أمر وحدتها.

وقد كانت هناك أصوات كثيرة تنادي بالوحدة الإسلامية فالوحدة وإن لم تكن دينا، فهي من البديهيات العقلية لأن فيها القوة والعزة والمنعة، وهذا العصر الذي شهد ويشهد التكتلات والأحلاف في الشرق والغرب بين دول غير منسجمة، لماذا لا يكون هو نفسه عصر وحدة المسلمين وتكتلهم.

ولكن الأصوات المنادية بالوحدة قد سكتت أو أسكتت، وقنع كل إقليم باستقلاله وذاتيته، وصار أمر الوحدة مجرد وهم يسيطر على بعض العقول، وأصبح من يدعو إلى الوحدة دعوته غريبة وصوته منكر.

ينبغي أن تعلو أصواتنا بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية الكبرى، فهي من صميم الدعوة إلى الإسلام، إن أول الطريق أن تشعر الشعوب بحاجتها إلى الوحدة، أن تعلم أن الوحدة الإسلامية هي أحد فروض الدين، وأنه بدونها نفقد الكثير والكثير. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

واجب العلماء والدعاة

إن واجب الدعاة والعلماء بعد أن يعملوا على تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة من توحيد الله عز وجل واتباع رسول الله ﷺ أن يبثوا في نفوس المسلمين هذا الفهم السليم، وأن يعلموا الناس أن الدين الإسلامي كل لا يتجزأ وأن الوحدة الإسلامية ضرورة واجبة بمقتضى الشرع وبمقتضى العقل، وأن الوضع الحالي من التفرق هو وضع شائن غير جدير بالإسلام والمسلمين، فالإسلام يعلو ولا يعلى، والمسلمون أعزة بالإسلام فلا ينبغي أن يرضوا بالذلة والهوان والضعف والتخلف، بل ينبغي أن يتقلدوا مكانهم السامي الرفيع في قيادة هذا العالم والأخذ بيده وإخراجه من الظلمات إلى النور، إن واجب الحكومات الإسلامية أن تعمل على تحقيق التعاون والتآزر والتكتل بين المسلمين، وأن يجلس الحكام بعضهم مع البعض وأن يكون هدفهم الرئيسي هو العمل على رفعة شأن دينهم.

إن الوحدة الإسلامية لن تتحقق حتى يسبقها شعور عام بالأخوة بين المسلمين التي يشعر فيها المسلم بأنه أخو المسلم، حتى يسود الشعور بأن «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره» [مسلم ٢٥٦٤] وأن ما يصيب المسلم في أقصى الأرض من ألم أو ضرر فإنما هو واقع بالمسلمين جميعا لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وإذا أصيب بلد أو إقليم إسلامي بضرر أو هدد بخطر هب المسلمون جميعا لنجدته.

كيف تتحقق الوحدة الإسلامية؟

لن تتحقق الوحدة الإسلامية ما لم يتم التعاون والتضافر بين المسلمين جميعا في المال والاقتصاد والثقافة والتعليم والقوى البشرية، ما لم يشعر المسلم أن كل الأقاليم الإسلامية على اتساعها بلده، لا يشعر فيها بغربة ولا يعامل فيها كالغريب.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢]، لن تتحقق الوحدة حتى يشعر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بضرورة الوحدة والحاجة الماسة إليها، والعمل على تطبيق دين الله وشرعه في كل أرجاء الأرض الإسلامية، فتحل العقائد الإسلامية محل العقائد المشبوهة والمنحرفة التي تغزو ديار المسلمين، فإن دين الله تعالى وشريعته توجب الوحدة وتحث عليها، وتتناول كل صغير وكبير من أمور الحياة بالتنظيم، فإذا ما عملنا على تطبيق شرع الله في كل الأنحاء، فإن الوحدة بغير شك ستكون من ثمار هذا التطبيق.

إذا ما وصلنا إلى هذه الدرجة من الشعور بضرورة الدين والوحدة والتطبيق الكامل للشرع في كل نواحي الحياة داخليا وخارجيا، فإن تحقيق الوحدة سيكون سهلا ميسورا، ولن يكون علينا سوى أن ندرس ونتباحث أمر شكل الوحدة وكيفيتها.

المستقبل للإسلام

فإذا ما توحدت الأمة وتجمعت أوصالها فإن الله سبحانه قد وعدها بالعزة وقد قال سبحانه.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقَّق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزءٌ من هذا الوعد الصادق؛ كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا يذهَبُ الليلُ والنَّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعُزَّى. فقالتْ عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ أن ذلك تامٌّ. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله» الحديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

هجمة الشيطان وأعوانه على الإسلام والمسلمين

بقلم رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين. وبعد.

إن الحال التي وصل إليها المسلمون ليحزن لها قلب كل مسلم ومؤمن، وتدمع العين، وتأسى النفس، فقد تكالب عليهم الأعداء، وساموهم سوء العذاب، وانتهكوا أعراضهم في كثير من الأقطار وأذلوهم، ومزّقت المسلمين التعصبات المذهبية والمناهج الحزبية والقوميات الجاهلية، والبدع المحدثة، وأضعف المسلمين تناحرهم وتفرقهم والأهواء الضالة، واتباع الشهوات المحرّمة، وليس ذلك الضعف والانحطاط والذلة عن قلة عدد المسلمين فهم أكثر أهل الأديان عددًا، وإنما مُصابُ المسلمين في البعد عن شريعة ربهم، فلابد من التغيير إلى ما يرضي الله سبحانه حتى يزيل الغمة عن الأمة قال الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد:١١].

وبينما لا تزال المجازر البشعة والجرائم المروعة تصبُّ على إخواننا في فلسطين، تستمر المؤامرة على العراق الجريح بين تدمير وحصار وقتل وتشريد للنساء والصغار، ومجازر بربرية ومذابح جماعية، وإبادة وحشية، ظلمٌ صارخ وعدوان سافر، تتفطّر منه الأكباد، وتذوب النفوس منه كمدًا، يُمارَسُ أمام نظر العالم وسمعه، ومؤسساته وهيئاته، أنظمةٌ صمّاء بكماء عمياء، ماذا جنى المقهور من ندائها؟! ماذا أدرك المظلوم من رجائها؟! والمجرم يصول في ظلها ويُحمَى بأسنّة حرابها ويبارك بَغيهُ وعُدوانه في ساحاتها.

إنها أنظمةٌ وُضعت لحماية حقوق الإنسان، ولكن ليس كل إنسان، وتدافع عن سيادة البلدان، ولكن ليس كل البلدان.

إعلان الحرب على الثوابت الإسلامية

واستمرارًا للحرب الشرسة على الإسلام والمسلمين وهجمة الشيطان وأعوانه وفرض الوصاية على الشعوب والأمم، تطالعنا الأنباء بفصل جديد من فصول التبجح الأمريكي اليهودي في خضم الحملات المستمرة لتشويه الإسلام وحصره في خندق الاتهام مدفوعة بإيعاز من الصهيونية العالمية التي تسعى لهدم الإسلام دينًا وأمة تخرج علينا اللجنة الأمريكية اليهودية المعروفة «بـ إيباك» وهي أكبر منظمة صهيونية على المستوى العالمي وتتخذ من الولايات المتحدة مقرًا لها في مؤتمرها الأخير الذي عقد في العاصمة الأمريكية «واشنطون» خلال الأيام الماضية. مطالبة بإلغاء الزكاة من الفروض الإسلامية واعتبار أن الزكاة هي أحد المصادر الرئيسية التي تمول الإرهاب، وأن كثيرًا من الجماعات الإرهابية اعتمد في العمليات التي تنفذها على الزكاة، ولذلك فإن تجفيف هذا المنبع يمكن أن يمثل ضربة قاسية موجهة إلى الجماعات الإرهابية!! إذا لم تستح فافعل ما شئت!!

والدعوة لمحاربة الزكاة وإتهامها بأنها تفرخ الإرهاب هو اتجاه يتبناه الرئيس الأمريكي وبعد أن وقعت أحداث سبتمبر، حوربت البنوك الإسلامية في الغرب وصودرت أرصدتها بشبهة أنها تمول الإرهاب، والمطالبة الحالية بإلغاء الزكاة من قبل اليهود عمل هستيري وفكر مارق فالزكاة ركنٌ من أركان الإسلام كالصلاة التي يباشرها المكلف بدون أدنى رقابة عليه، وكذلك الأصل في الزكاة أن يؤديها الأغنياء للفقراء بطريقة مباشرة، ولن يستطيع أحد أن يمنع مسلما أن يؤدي زكاة ماله.

وإذا كانت الزكاة تنفق للمرضى واليتامى والأرامل والمساكين، وتقوم عليها مشروعات النماء في المجتمع فإن هؤلاء من خلال دعاويهم الباطلة يسعون إلى تعطيل بناء القوة الإسلامية، ويجب أن يعلم هؤلاء الظلمة أنه

كلمة التحرير

•• إعلان الحرب على الثوابت الإسلامية هي السمة الرئيسية للحملة الشيطانية الأمريكية على الإسلام والمسلمين

•• الدعوة لمحاربة فريضة الزكاة وإتهامها بأنها الممول للإرهاب اتجاه يتبناه الرئيس الأمريكي وهيهات!!

ليس هناك إرهاب في العالم أشد وطأة من إرهاب أمريكا وإسرائيل، فالإرهاب صناعة أمريكية إسرائيلية!! قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾، وقال النبي الأمين ﷺ في الحديث الذي أخرجه مالك في موطئه وقواه الألباني في الصحيحة، «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي».

قمة الثماني دول والشرق الأوسط الكبير

وفي الفصل الثاني من فصول المؤامرة والهجمة الشرسة للشيطان وأعوانه على الإسلام والمسلمين وفي خِضَم القرارات التي أصدرتها تلك المجموعة بدءًا لتنفيذ المؤامرة الكبرى حيث جاء بيان المجموعة معبرًا عن إرادة بوش ورغبته الكامنة والظاهرة في التدخل المباشر في شئون المنطقة العربية خاصة أنه قد استطاع في هذا المؤتمر أن يفرض المبادرة الأمريكية حول الإصلاح في الشرق الأوسط لتصبح واحدًا من البنود الهامة للقمة!

وكان من بين القرارات التي أصدرتها المجموعة إعلانها عن بدء تدريب مائة ألف معلم كمرحلة أولى لإعادة صياغة العقول من دول المنطقة في أمريكا يكون هدفهم القضاء على الأمية التعليمية باعتبار أن ذلك يعوق المشاركة السياسية، وأن هؤلاء وإن كانوا يُشكلون تيارًا رئيسيًا في محو الأمية إلا أن المرحلة الثانية المرتبطة بتدريب مائة ألف آخرين ستكون أكثر تركيزًا على المناهج التعليمية التي لا بد من إدخال تعديلات جوهرية عليها لتتواءم مع طبيعة المرحلة الجديدة وأن هذه البرامج ستتركز على:

** المنهج التعليمي الجيد في إطار التعاون مع الثقافة الغربية.

** الأصول المشتركة لتدريس العلوم الدينية في المدارس.

** تطوير التعليم في اللغات الأجنبية.

** المناهج التربوية في تشكيل عقل متحضر بعيدًا عن التعصب والأنانية.

** المشاركة السياسية الفردية وتقديسها في المناهج التعليمية.

** الإعداد المشترك لرؤية تعليمية ذات أهداف بعيدة المدى في المواطنة والالتزام بالقيم العالمية.

**المبادئ العلمية لنقل أفكار التلاميذ إلى التنفيذ الفعلي وعبر التطابق مع الاتجاهات العالمية للتحديث والتطوير.

** الإسلام كدين يختلف عن الممارسة الفعلية والأهداف المستوحاة من تطوير هذه الممارسات.

** مبادئ الالتزام المشترك في تطوير أهداف العملية التعليمية.

ويذكر أن كل نقطة من النقاط السابقة كانت قد أعدت بشأنها الإدارة الأمريكية أوراق عمل مختصرة وأن هذه الأوراق تضمنت الروية الأمريكية في المناهج التعليمية مع تدريس العلوم الدينية والمناهج التعليمية وفقًا للرؤية الأمريكية!

وقد تداركت القيادة السياسية في كل من مصر والمملكة العربية السعودية بالحس الواعي والحكيم ما يحاك في المؤتمر قبل انعقاده بوقت كاف واعتذرتا عن المشاركة في مثل هذا المؤتمر المشبوه اعتراضًا على ما كان يزمع مناقشته والقرارات التي بيتت النية لإصدارها!!

دعاوى جاهلية للمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث!!

وفي فصل آخر من فصول المؤامرة على الإسلام والمسلمين بعد اتهام الإسلام بالتحيز ضد المراة خرج علينا بعض العلمانيين يسعون بكل وسيلة وبمعاونة شياطينهم إلى محاولة الإساءة للإسلام، وفتح الأبواب للهجوم عليه.. مطالبين بالمساواة بين الرجل والمرأة، وإلغاء نظام المواريث في

الإسلام والمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث.

وقد تدرج الإسلام في الحديث عن المواريث نظرًا لظهوره في بيئة جاهلية تمكنت منها قوانين بالية مجحفة تقوم على هضم حقوق الضعفاء والأطفال والنساء. فبدأ الإسلام أول ما بدأ بتقرير حق توريث تلك الفئات المستضعفة وإثبات أحقيتها في الميراث سواء أكان كثيرًا أو قليلا.

قال تعالى: ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء:٧].

ولم يلق ذلك التغيير استحسانًا أو قبولا من قبل عدد من الناس الذين درجوا على تلك العادة من حرمان النساء من الميراث. ولكن الإسلام جاء بأحكامه وتشريعاته العادلة ليبطل عادات الجاهلية، وتعسُّفها تجاه المرأة، كما أتى على كل الأعراف المناقضة لمقاصد تعاليمه وشريعته القائمة على العدالة.

فالإسلام أعطى للنساء نصيبًا مفروضًا، ولكنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، فالمرأة لا تحصل على نصف نصيب الرجل إلا إذا كانا متساويين في الدرجة والسبب الذي يتصل به كلا منهما إلى المتوفي.

فالإبن والبنت.. والأخ والأخت، يكون نصيب الرجل هنا ضعف نصيب المرأة. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ [النساء:١٧٦].

وإن الحكمة السامية في تنصيف نصيب المرأة في الميراث. أن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة وغرامات ونفقات، فالرجل تقع على كاهله إعالة الأسرة بما فيها البنات، فكان ذلك متمشيًا مع تلك المسئولية والعبء المالي المنوط على عاتق الرجل.

فالأحكام الشرعية المنصوص عليها في قضية ميراث المرأة لا تخرج عن نطاق النصوص القطعية الثبوت والدلالة وهي على هذا الأساس غير خاضعة ولا قابلة لتأويل جديد أو فهم آخر بعيد عند أهل السوء أتباع كل ناعق.

والتشريع الإسلامي وضعه رب العالمين الذي خلق الرجل والمرأة، وهو العليم الخبير بما يصلح شأنهم من تشريعات وهو القائل: ﴿ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ [فاطر:٥١].

والمرأة قد غُمرت برحمة الإسلام وفضله فوق ما كانت تتصور بالرغم من أن الإسلام أعطى الذكر ضعف الأنثى، فهي مرفهة ومنعمة أكثر من الرجل لأنها تشاركه في الإرث دون أن تتحمل تبعات. وتدّخر المال دون أن تشارك الرجل في تكاليف العيش ومتطلبات الحياة، ولربما تقوم بتنمية مالها في حين أن ما ينفقه أخوها وفاءً بالالتزامات الشرعية قد يستغرق الجزء الأكبر من نصيبه في الميراث.

وشهادة المرأة في الإسلام تعدل نصف شهادة الرجل كما نص على ذلك القرآن الحكيم والسنة النبوية فقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء. أن تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى ﴾ ففيه دلالة على أن إشهاد امرأتين إنما هو لإذكار إحداهما الأخرى إذا ضلّتْ ونسيت، وهذا إنما يكون فيه الضلال في العادة وهو النسيان.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من كتابه الحكيم قد

●● إن كان الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؛ وأعطاها في حالات من الميراث نصف نصيب الرجل فإنه ساواها بالرجل في عموم التكليف والتشريف والجزاء ودخول الجنة والوصول إلى أعلى درجاتها

كلمة التحرير

بيَّن وأكَّد أن المرأة مساوية للرجل تمامًا في التكليف وفي التشريف وفي المسئولية، ففي التكليف فهي مكلفة بأركان الإيمان، ومكلفة بأركان الإسلام، ومسئولة عمَّن استرعاها الله عز وجل من رعاية بيت زوجها وأولادها، وفي الآخرة تدخل الجنة كالرجل.

لكن الله سبحانه وتعالى خلق الرجل ببنْيَة جِسْمِيَّة، وبنية نفسية، وبنية عقلية تختلف عما خلق المرأة، وهذا يؤكده قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ [آل عمران:٣٦]

الخوارج الجدد والهجمات على أرض الحرمين

وتستمر الهجمة الشيطانية على بقعة غالية على قلب كل مسلم وبينما تتسارع الأحداث حيث تواجه الأمة بغي عدوها واستطالته وتجبره، تطالعنا الأنباء في الأيام القليلة الماضية حول العمليات الإرهابية الآثمة والتي استهدفت بلاد الحرمين الشريفين.

وإن ما حدث يعد جريمة نكراء لا يتردد في إنكارها وتحريمها وتجريمها أحد، فقد أقدم منفذوها على قتل إخوان لهم مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واستهدفوا بلدًا يذكر فيه اسم الله كثيرًا، بلدًا آمنا يرفع راية الكتاب والسنَّة. ولا شك أن باعث هؤلاء الضالين في عملهم الشنيع هذا فكرٌ منحرف وفقه ضال جعل التدمير والفساد مبتغاه، واتخذ من الاعتداء على المسلم في دمه وماله وأهله مسلكًا.. فعميت البصائر، وضلَّ السعي، فكان قتل المعصومين، وترويع الآمنين.

إن هذه البلاد المباركة هي موئل العقيدة ومأرز الإيمان وجزيرة الإسلام، ومَحطُّ أنظار المسلمين في جميع الأمصار والأقطار، ومهوى أفئدة الحجاج والعُمَّار والزُّوار، حفظُ أمنها واجبٌ معظَّم، وحماية أرضها فرضٌ مُحَتَّم، وستَظلُّ بحول الله بلدًا آمنًا مطمئنًا ساكنًا مستقرًا متلاحمًا متراحما وإن رغمت أنوفٌ. وقد قال رسول البشرية ﷺ: «من فارق الجماعة شبرًا فمات مات ميتة جاهلية». أخرجه البخاري في كتاب الفتن.

إن الأمة ستبذل المهج والدماء والأشلاء والشهداء للدفاع عن دينها وعقيدتها، والزود عن أرضها وعرضها، والذَّبِّ عن حُرماتها ومُقدَّساتها، مستحضرة قول قائدها وإمامها نبينا محمد ﷺ: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف؟٢١].

والجماعة منَعَة، والفرقةُ عذاب، والجماعة لب الصواب، والفرقة أسُ الخراب، وبادرةُ العِثَار، وتحيل العمار خرابًا، والأمن سرابًا. وأن أعداء الملة لا يألون جهدًا في محاولة تفريق الكلمة وتمزيق الصفّ، صدعًا للأمّة، وقطعًا للعُروة، يغرون قريشًا بتميم وزيدًا بعمرو وبعضًا ببعض، ليحكموا السيطرة، ويفرضوا الهيمنة ، ومتى تفرقت الأهواء وتباينت الآراء وتناثرت القلوب، واختلفت الألسن وقع الخطر بأكمله وجثم العدو بكلكله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

•• إن ما يجري على أرض الحرمين من عمليات إرهابية استهدفت أمنه وسلامته لهو مسلك إجرامي يستنكره كل مسلم ويتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف

باب التفسير





الحلقة الأخيرة

بقلم
د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)﴾ [الملك: ١٦- ٣٠].

قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)﴾.

إنها جملةٌ من التهديدات التي تهزّ الغافلين هزًا، ليفيقوا من غفلتهم، وينتبهوا من رقدتهم، قبل أن يأخذهم الله كما أخذ الذين من قبلهم: ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وهذه التهديدات قد تكررت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩]. وهذا الإنذار من لطفه تعالى ورحمته بخلقه، فهو قادرٌ على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجّل ولا يعجل، ويرسل رسله لينذروا عباده قبل أن يأخذهم بذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، وإن تولوا: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قومُ نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم وأخذي لهم؟ كان والله عظيمًا شديدًا أليمًا، ذكره الله في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ

الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر:١٦] . قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ . هذا مظهرٌ من مظاهر قدرة الله تعالى ، وأثرٌ من آثار تدبيره أمر كل شيء ، يلفت أنظارهم إليه ، ليريهم آياته : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ أجنحتهن تارةً ﴿وَيَقْبِضْنَ ﴾ تارةً ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في السماء أن يقعن على الأرض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ أي بصير بما يُصلح كلّ شيء من مخلوقاته ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٧٩].

والله الذي يمسك الطير في السماء هو الذي يمسك الطائرات ، وهو الذي يمسك السفن في البحار أن تغرق فيها ، قال تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [يس: ٤١- ٤٤] ، كما أن الله هو الذي يمسك السماء وما فيها أن تقع على الأرض ، ويمسك السموات والأرض أن تزولا ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١] .

قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ، هذا تهديد آخر ، وقد سبق أن هدّدهم بأن يخسف بهم الأرض ، أو يرسل عليهم حاصبًا ، وهو في هذه الآية يسألهم : من هذا الذي ينصرهم ويحميهم من الله ، غير الله ؟ أمن هذا الذي ينصرهم على أعدائهم ، غير الله ؟ لقد كانوا : ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ، فأخبرهم الله أن آلهتهم أعجز ما تكون عن نصر أنفسها ، فضلاً عن نصرها لهم ، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ ، وقال هنا : ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ حين يعتقدون أن غير الله قادر على أن يدفع عنهم بأس الله ، أو ينصرهم على أعدائهم ، والله يقول : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ١- ٣] ، ويقول: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ ؟ وهم يعلمون أنه لا رازق لهم إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، ومع هذا يعبدون غيره ، ولذا قال تعالى : ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ ، أي : استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ، وكان الواجب وقد اعترفوا أن الله هو الذي يرزقهم أن يعبدوه وحده ، لا يشركوا به شيئًا ، ولذا لما اعترفوا بذلك أمر الله نبيه أن يقول لهم : ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] ، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٦، ١٧].

قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي منكبًا على وجهه ، أي يمشي منحنيًا على وجهه لا مستويًا، أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ؟ بل تائه حائرٌ ضالّ، أهذا أهدى ؟ ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ أي : منتصب القامة ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، أي على طريقٍ واضح بيّن ، وهو في نفسه مستقيم ، هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يُحشر ماشيًا سويًا على صراط مستقيم مفضٍ به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يُحشر ماشيًا على وجهه إلى نار جهنم. [ابن كثير ٣٩٩/٤].

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ

يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] . عن أنس بن مالك قال : قيل : يا رسول الله ، كيف يُحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم بقادر على أن يمشيهم على وجوههم».

وعلى ذكر الهدى والضلال ، يذكّرهم بما وهبهم الله من وسائل الهدى ، وأدوات الإدراك ، ثم لم ينتفعوا بها ، ولم يكونوا من الشاكرين . ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ الله الذي خلق الموت والحياة ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ من العدم ، ووهبكم الحياة ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ وهي وسائل المعرفة والبحث عن الحقيقة ، وهي وسائل الإدراك والهداية ، كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ، ومع ذلك ﴿ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي : قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره .

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : بثكم في الأرض ، وفرّقكم في أقطارها ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون بعد هذا التفرّق، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٦٠]، ولكن الكافرين ينكرون قدرة الله على جمعهم : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهو سؤال الشاك المستريب ، حملهم عليه جهلهم بما أعدّ الله من العذاب لمن كذب بالساعة ، قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٨- ٤٠] ، فلا أحد يعلم متى تأتيهم ؟ ومتى يكون هذا الوعد ، ولذا قال لنبيه : ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ، وقد أنذرتكم . «وبينما هم يسألون في شك ويُجابون في جزم ، يوضح السياق القرآني كأن هذا اليوم الذي يسألون عنه قد جاء ، والموعد الذي يشكون فيه قد حان، وكأنما هم مواجهوه الآن : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ فقد رأوه قريبًا مواجهًا لهم حاضرًا أمامهم ، دون توقع ودون تمهيد ، فسيئت وجوههم ، وبدا فيها الاستياء ، ووُجه إليهم التأنيب : ﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ، ولقد كان المشركون يقولون عن النبي ﷺ شاعر نتربص به ريب المنون، وكانوا يتواصون بينهم بالصبر عليه حتى يموت كما مات من قبله من الشعراء ، فأمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ؟ فماذا ينفعكم إن أهلكني الله ومن معي ؟ وإن رحمنا فذلك فضله ، ولن تعمّكم رحمته ، ﴿ فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، وهكذا يلتفتُ من الخطاب إلى الغيبة، فهو لا يقول لهم : فمن يجيركم ؟ ولكن : فمن يجير الكافرين ؟ وهو أسلوب رائع من أساليب الدعوة، التي يجب على الدعاة أن يأخذوا أنفسهم به ، وقد تكرر في القرآن الكريم مرات ، كما قال موسى وهارون لفرعون : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أي : فاحذر أن تكذب وتتولى فتعذب ، وهذا الأسلوب من فوائده أن يجعل المخاطب يفكر في الهداية واتباع الرسل ، أما المجابهة والمواجهة والصراحة فإنها تنفر المدعو ، وتحمله على العناد والإصرار، والله تعالى يقول : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ثم أمر الله نبيه أن يعلن إيمانه هو والذين آمنوا معه ، فقال : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

إنهم آمنوا بربهم ، وتوكلوا عليه ، والله لا يعذب المؤمنين المتوكلين عليه ، وإنما يعذب الكافرين به المعرضين عنه ، ولهذا قال تعالى : ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نحن أم أنتم ؟ كما ستعلمون أيُّنا تكون له عاقبة الدار .

وأخيرًا يلمح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأول وهو الماء. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهبًا في الأرض إلى أسفل ، ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي نابع سائح ، جار على وجه الأرض ، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه ، وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلّة والكثرة . فلله الحمد والمنة .



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه؛ أحدهما في كتاب فضائل القرآن، باب: «كيف نزل الوحي وأول ما نزل» برقم (٤٩٨١)، والثاني في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم» برقم (٧٢٧٤)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل قبله برقم (١٥٢)، كذا أخرجه الإمام أحمد في المسند، والنسائي في الكبرى.

راوي الحديث

قال الذهبي: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، اختُلِف في اسمه واسم أبيه على أقوال جمة أرجحها: عبد الرحمن بن صخر.

ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس «أبو الأسود»، فسماه النبي ﷺ: عبد الله وكناه أبو هريرة. قال الطبراني: وأمه رضي الله عنها هي ميمونة بنت صبيح.

حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه- لم يُلحق في كثرته- وكذلك عن أبيٍّ بن كعب وأبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وبصرة بن أبي بصرة وكعب الحبر.

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة أو أكثر كما قال البخاري.

عن محمد بن قيس قال: كان أبو هريرة يقول: لا تكنُّوني أبا هريرة؛ كناني رسول الله ﷺ: أبا هر، فقال: «ثكلتك أمك أبا هر». والذكر خير من الأنثى، وعن الوليد بن رباح أن أبا هريرة كان يقول: كان النبي ﷺ يدعوني: «أبا هر».

قال أبو هريرة: والله ما خلق الله مؤمنًا يسمع بي إلا أحبني. قال يزيد بن عبد الرحمن لأبي هريرة: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فأخبرته، وسألته أن يدعو لها، فقال: «اللهم اهدِ أم

للنبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ زكريا حسيني

أبي هريرة». فخرجت أعدو أبشرها، فأتيت فإذا الباب مجاف وسمعت خضخضة الماء، وسمعت حسي، فقالت: كما أنت، ثم فتحت وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. قال: فرجعت إلى رسول الله أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فأخبرته، وقلت: ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين، فقال: «اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما». أخرجه مسلم وأحمد.

شرح الحديث

قوله ﷺ: «ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي». هذا يدل على أن كل نبي من الأنبياء لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه وعدم تكذيبه، ولا يضره بعد ذلك من أصر على تكذيبه.

قوله: «من الآيات» أي: المعجزات الخوارق للعادات.

وقوله: «ما مثله آمن عليه البشر»: المِثْلُ يطلق ويراد به عين الشيء، ويطلق أيضًا على ما يساويه، والمعنى أن كل نبي من الأنبياء أعطي معجزة أو أكثر؛ من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن ويصدق هذا النبي لأجلها، و«على» هنا بمعنى اللام أو الباء، وإنما عبر بـ «على» لأنها تفيد معنى الغَلَبَةِ، أي أنه يؤمن بذلك مغلوبًا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، ولكنه قد يجحد ويعاند، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾. قوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ» أي إن معجزتي التي تحدَّيْتُ بها هي الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته ﷺ فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات مثل ما أوتي من تقدمه من الأنبياء، بل المراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التي اختصه الله بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر فاشيًا عند فرعون وقومه جاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا أي تبطله، ولم يقع ذلك بعينه لغيره من الأنبياء، وكذلك لما كان الأطباء والحكماء في عهد عيسى عليه السلام في غاية الظهور كانت معجزته عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وهو ما لم تصل إليه قدرتهم. ولما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة والفصاحة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك، وقيل المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل، وقيل المراد أن كل نبي أعطي

من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، وقيل المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج مَن يميز بينهما إلى نظر، والنظر عرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما، وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بذهاب عصورهم وأزمانهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات، وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأحسها أكثر، لأن الذي يشاهدُ بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًا، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه الأقوال: ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد؛ فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضًا.

قوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». قال الحافظ في الفتح: رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجاء المذكور على ذلك، وهذا الرجاء قد تحقق، فإنه أكثر الأنبياء تابعًا، ثم قال رحمه الله: وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن تأليفه والْتِئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظمًا ونثرًا حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها. اهـ.

القرآن عام النفع كثير الفائدة يشتمل على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون

سامع القرآن لا يمجه وقارئه لا يمل من تلاوته، ولن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن

لن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن

الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون

ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة وحلاوة

دينهم وعن كتاب ربهم إذا استمسكوا به وحفظوه ولم يهجروه

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون. مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروف، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله: وقوله ﷺ: «فارجو أن أكون أكثرهم تابعًا» عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ فإنه أخبر عليه السلام بذلك في زمن قلة المسلمين، ثم مَنَّ الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ولله الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى، والله أعلم.

هذا ولا شك أن القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد ﷺ وأنه الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه، وكذلك السنة النبوية وحي الله تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، والقرآن باق ومحفوظ بحفظ الله تعالى لا يتبدل ولا يتغير، قال تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ليس بحاجة إلى حفظ البشر، فإن الله تعالى حافظه، وإنما يسعد المسلمون ويرقون ويفوزون في الدنيا والآخرة إذا تعلموا هذا الكتاب واعتنوا به، تلاوة وحفظًا وتدبرًا وفهمًا وعلمًا وعملاً، حافظوا على تلاوته وحفظه وتفسيره وإعرابه، فإنه منهاجهم الذي فيه عزهم ونصرهم في الدنيا، وفوزهم بالجنة ونجاتهم من النار في الآخرة.

ولن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن دينهم وعن كتاب ربهم إذا استمسكوا به وحفظوه ولم يهجروه، أما إذا هجروه تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا وعلمًا وعملاً، فإن الأعداء يسهل عليهم أن يتسلطوا على المسلمين ويعيثوا فسادًا بتشكيكهم في كتابهم وإلقاء الشبه عليهم فيتهوك منهم من يتهوك ويتشكك من يتشكك، وذلك لضعف الإيمان والجهل بالقرآن، ولا عجب بعد ذلك أن يُطْلَب من المسلمين مَحْوُ آياتٍ من القرآن تتعارض مع مبادئ الكافرين وأهوائهم أو تتصادم مع مصالحهم فيما يزعمون، بل أكثر من ذلك أن يؤلفوا كتابًا أو كتبًا بديلة عن القرآن للمسلمين، ليأخذوه فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ومن هان عليه دينه هان عليه كل شيء.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وعقائدنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن المستمسكين به العاملين به في الدنيا الفائزين به في الآخرة، وأن يجعله شفيعنا إلى جنات النعيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب: منبر الحرمين

لفضيلة الشيخ/ عبد الرحمن السديس

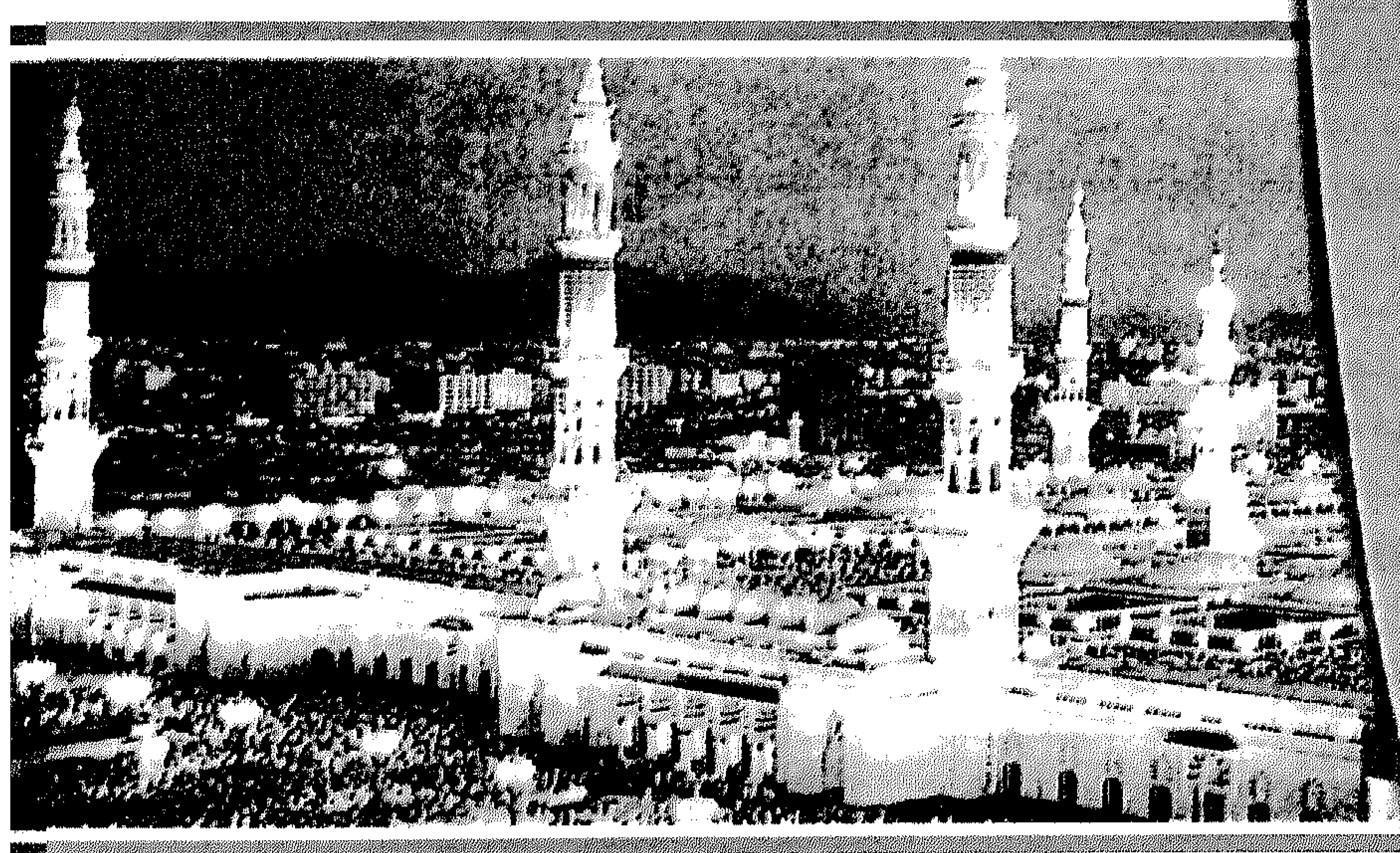
إمام الحرم المكي

خطورة التكفير

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أمّا بعد: فيا عبادَ الله، العيشُ الوثير والخير الوفير والرزق الكثير ثمرةُ تقوَى المولى اللطيف الخبير، فاتقوا الله رحمكم الله، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:٢٨].

أيّها المسلمون، لا يرتابُ الغيورون على أحوال الأُمّةِ أنها تعيش زمنَ طوفانِ الفِتن، وأنّ واقعَها المريرَ يعُجّ بفتنٍ عمياء ودَواهٍ دَهياء، قد انعقد غمامُهَا وادلهمّ ظلامُها، غيرَ أنّ هناك فتنةً فاقرة وبليّة ظاهرة، فتنةً امتُحِنَ المسلمون بها عبرَ التأريخ، فتنةٌ عانت منها الأمّة طويلاً وذاقت مرارتَها وتجرّعت غُصصَها ردحًا من الزمن، فتنةٌ طال ليلُها وأرخى سدولَه بشتّى همومها وناءت بكَلكلِها وغمومها، كم نجَم عنها من سفكِ الدماء وتناثُر الأشلاء وحلّ جرّاءَها من نكباتٍ وأرزاء، وبالجملة فهي محِيطٌ ملغوم ومركَب مثلوم ومستنقَعٌ محموم وخطر محتوم، زلّت فيها أقدام وضلّت فيها أفهام، وبالتالي فهي جديرةٌ بالتّذكير حفيّة بالتفكير قِمنَة بالتبصير، بَلْهَ صرخة نذير وصيحة تحذير، حتى لا تتجدّد فواجعُ الأمّة في العنف والتدمير والإرهاب والتفجير.

أجزمُ أنه لم يعُد يخفى على شريفِ علمكم أنها الظاهرةُ الجديرة بالتنديد والتفكير والمعالجة والتغيير، إنها فتنةُ التكفير، وكفى بها من فتنةٍ تولّد فِتنًا.



خطورة التكفير

إخوة الإسلام، المجازفةُ بالتكفير شرٌ عظيم وخطر جسيم، كم أذاق الأمّةَ من الويلات ووبيل العواقب والنهايات، لا يسارع فيه مَن عِنده أدنى مَسكة من ورع وديانة أو شذرة من عِلم أو ذرّة من رزانة، تتصدّع له القلوب، وتفزع منه النفوس، وترتعد من خطره الفرائص، يقول الإمام الشوكانيّ رحمه الله: "وها هنا تُسكَب العبرات ويُناح على الإسلام وأهلِه بما جناه التعصّبُ في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكُفر لا لسنّةٍ ولا لقرآن، ولا لبيانٍ من الله ولا لبرهان، بل لما غلَت به مراجلُ العصبيّة في الدين وتمكّن الشيطانُ الرجيم من تفريق كلمة المسلمين، لقّنهم إلزاماتٍ بعضِهم لبعض بما هو شبيهُ الهباء في الهواء والسّراب بقيعةٍ، فيا للهِ وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي أعظمُ فواقر الدين والرّزيةِ التي ما رُزئ بمثلِها سبيلُ المؤمنين... – إلى أن قال رحمه الله: – والأدلّة الدالّة على وجوب صيانةِ عِرض المسلم واحترامِه تدلّ بفحوى الخطاب على تجنُّب القدح في دينه بأيّ قادح، فكيف إخراجه عن الملّة الإسلاميّة إلى الملةِ الكفريّة؟! فإنّ هذه جنايةٌ لا يعْدلُها جناية وجراةٌ لا تماثِلها جرأة، وأين هذا المجترئ على تكفير أخيه من قول رسول الله: «المسلمُ أخو المسلم؛ لا يظلِمه ولا يُسلمُه»(١) وقوله عليه الصلاة والسلام: «سِبابُ المسلم فسوقٌ وقِتالُه كفر»(٢) وقوله: «إنّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»(٣)" انتهى كلامه رحمه الله(٤).

إخوةَ الإيمان، لقد جاءتِ النصوصُ الزاجرة عن هذا المرتع الوخيم والمسلك المشين، يقول سبحانه: ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء:٩٤]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدُهما، فإن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه»(٥)، وفيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسولَ الله يقول: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوّ الله وليس كذلك إلا حارَ عليه»(٦)، وعند الطبرانيّ بسند صحيحٍ أنّ رسولَ الله قال: «مَن رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتلِه»(٧).

المنهج الشرعي تجاه التكفير

وعلى هذا المنهَج الناصع الوضيء سارَ صحابةُ رسول الله، خرّج الإمام أحمد والطبرانيّ وغيرهما عن أبي سفيانَ قال: سألتُ جابرًا وهو مجاورٌ بمكّة: هل كنتم تزعُمون أحدًا من أهل القبلة مشركًا؟ فقال: معاذ

ينبغي الاحتراز من التكفير ما وُجد إلى ذلك سبيلاً، لما يترتب عليه من استباحة الدماء. والخطأ في ترك ألف كافر أحياءً، أهون بكثير من سفك دم مسلم واحد!!



الله، وفزع لذلك، فقال رجلٌ: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا(٨).

وعلى هذا المسلك المشرق اللألاء سارَ السلف الصالح رحمهم الله، فوضعوا لهذا الحكم أصولاً وشروطًا وضوابط، ورسموا له حالاتٍ وموانع، لا بدّ من مراعاتها والتثبُّت فيها، وما ذلك إلاّ لخطورته ودقّته.

وأهمُّ هذه الضوابط أنّ التكفيرَ حكم شرعيٌّ ومحضُ حقّ الله سبحانه ورسوله، يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله:

الكفـــر حقّ الله ثم رسـولـه
بالنصّ يثـبت لا بقـول فـلانِ
من كـان ربُّ العـالمين وعـبـده
قد كـفّراه فـذاك ذو الكفـران(٩)

ويقول الإمام الطحاويّ رحمه الله: "ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه"(١٠)، قال ابن أبي العزّ رحمه الله: "إنّ بابَ التكفير وعدم التكفير بابٌ عظُمت الفتنةُ والمحنةُ فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتّتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه على طرفين ووسَط"(١١)، ثم قال: "وإنه لمن أعظم البغي أن يُشهَد على معيّنٍ أنّ الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلّده في النار"(١٢)، وقال الغزاليّ رحمه الله: "والذي ينبغي الاحترازُ منه التكفيرُ ما وجد إليه سبيلا، فإنّ استباحةَ الدماء والأموال من المصلّين إلى القبلةِ المصرّحين بقول: لا إله إلا الله محمّد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألفِ كافرٍ في الحياة أهونُ من الخطأ في سفكِ دمِ لمسلم"(١٣)، وقال الإمام النوويّ رحمه الله: "اعلم أنّ مذهبَ أهل الحقّ أنه لا يكفّر أحدٌ من أهل القبلةِ بذنب، ولا يُكفَّر أهلُ الأهواء والبدَع وغيرُهم"(١٤)، ويقول الإمام القرافيّ رحمه الله: "كونُ أمرٍ ما كفرًا- أيّ أمرٍ كان- ليس من الأمور العقليّة، بل هو من الأمور الشرعيّة، فإذا قال الشارع في أمرٍ ما: هو كفر فهو كُفر"، ويقول شيخ الإسلام ابن تيميّةَ رحمه الله: "فلهذا كان أهلُ العلم والسنّة لا يكفّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يُكفِّرهم؛ إذِ الكفر حكمٌ شرعيّ، فليس للإنسان أن يعاقبَ بمثلِه كمن كذب عليكَ وزنى بأهلِك، ليس لك أن تكذِبَ عليه ولا تزني بأهله، لأنّ الكذبَ والزنا حرامٌ لحقّ الله تعالى، وكذلك التكفير حقُّ الله، فلا يُكفَّر إلاّ من كفّره الله ورسوله"(١٥)، وقال الشيخ المجدّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وبالجملةِ فيجب على كلّ من نصحَ نفسَه أن لا يتكلّم في هذه المسألةِ إلا بعلمٍ وبرهانٍ منَ الله، وليحذر من إخراج رجلٍ من الإسلامِ بمجرّدِ فهمِه واستحسان عقله، فإنّ إخراجَ رجلٍ من الإسلام أو إدخالَه من أعظم أمور الدّين، وقد استزلَّ الشيطان أكثرَ الناس في هذه المسألة"(١٦).

الله أكبر، هذا هو ورَعُ السلف في هذا الباب، فكيف يسوغ بعدَ هذه النقول كلِّها لمن لم يبلُغ في مقدار علمهم وفضلهم نقيرًا ولا قطميرًا أن يتجاسَر على المسارعةِ إلى الحكم بالكفر الصُّراح في حقّ إخوانه المسلمين جملةً وتفصيلاً عياذًا بالله عياذًا، أوَما علِم هؤلاء ما يترتّب على التسرُّع في التكفير من أمورٍ خطيرة مِن استحلال الدم والمال ومنع التوارُث وفسخ النكاح وتحريم الصلاةِ عليه وعدَمَ دفنِه في مقابر المسلمين، مع ما يستوجبه من الخلودِ في النار والعياذ بالله، إلى غيرِ ذلك ممّا هو مزبورٌ في مظانّه؟! فلا جرَمَ بعد ذلك كلّه أن يقفَ الشرعُ منه موقفًا صارمًا، يسدُّ الطريقَ على أحفاد ذي الخويصرة وحرقوص بن زهير ومَن خرج مِن ضئضِئهم ممّن يكفّرون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان، بل يوزّعون صكوكَ جهنّم على الخليقة وهم لا يشعرون، والله المستعان.

أمةَ الإسلام، ومِن الضوابط المهمّة في هذه المسألةِ الخطيرة أنّ المسلمَ لا يُكفَّر بقولٍ أو فِعل إلاّ بعد أن تقامَ عليه الحجّة وتُزالَ عنه الشّبهة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فليس لأحدٍ أن يكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلِط حتى تُقامَ عليه الحجّة ويبيَّن له المحجّة، ومن ثبت إسلامُه بيقينٍ لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامةِ الحجة وإزالة الشبهة"(١٧).

ومِن الضوابطِ أنه يجب التفريق بين الفِعل والفاعل والإطلاق والتعيين وتنزيل النصوص على الوقائع والأشخاص، جاء في مجموع الفتاوى ما نصُّه: "فإنّ نصوصَ الوعيد التي في الكتابِ والسنة ونصوصَ الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحوِ ذلك لا يستلزم ثبوتَ موجبِها في حقّ المعيَّن إلاّ إذا وُجِدت الشروط وانتفَت الموانع، لا فرقَ في ذلك بين الأصول والفروع"(١٨).

ومنها أنّ الكفرَ نوعان: أكبر وأصغر، اعتقاديّ وعمليّ، وهذا ممّا التبس على كثيرٍ ممّن يتراشقون بالتكفير، فغفلوا عن الجمع بين النّصوص والمنهجِ الصحيح فيما ظاهره التعارضُ.

ولهذا ذهَب جماهير العلماءِ سلَفًا وخلَفًا إلى التفصيل في قضيّة الحاكميّة، وهو مذهبُ حَبر الأمة وترجمانِ القرآن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما حيث يقول رضي الله عنهما: (ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، وإنما هو كفرٌ دون كفر)(١٩)، وإليه ذهب الطبريّ وابن كثير والقرطبيّ وعِكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس والزجّاج والآجريّ وابن عبد البرّ والسمعانيّ والجصّاص وأبو يعلى وأبو حيّان وابن بطّة وابن عطيّة وابن الجوزيّ وشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة والمحقّقون قديمًا وحديثًا.

وعدَّ أهلُ العِلم أربعَ حالاتٍ في هذه المسألة على تفصيلٍ نفيس يحقّق الجمعَ بين النصوص، ممّا

يؤكّد الإجماعَ على براءةِ أهل السنة من تكفير عُصاةِ الأمّة، مع أنّ وجوبَ الحكم بما أنزل الله لا يتمارى فيه مسلمان، وكلُّ مسلم للحُكم بغير الشريعةِ من القالين، بيدَ أنّ هذا الجُرمَ المستبين لا ينبغي أن يُخرجنا لحماسةٍ مشبوهةٍ وعاطفة جيّاشةٍ عن قواعدِ أهل العلم والإيمان وأصول أهل السنة والقرآن ومنهج السلف في النظرِ والاستدلال، وماذا بعد الحقّ إلّا الضلال؟!

ومن الضوابطِ في هذه المسألة أنّه لا يُكفَّر باللوازمِ من الأقوال، ولا يُعتبَر بما تؤول إليه من أفعال، يقول الإمام الشاطبيّ رحمه الله: "مذهبُ المحقّقين من أهلِ الأصول أنّ الكفرَ بالمال ليسَ بكفرٍ في الحال"، وقال الحافظ ابن حجر: "إنّ الذي يُحكَمُ عليه بالكفر مَن كان الكفرُ صريحَ قوله، وكذا من كان لازمَ قوله وعُرِضَ عليه فالتزمَه، أمّا من لم يلتزمه وناضَل عنه فإنّه لا يكون كافرًا ولو كان اللازم كفرًا"(٢٠).

وأخيرًا - يا رعاكم الله - فإنّه لا يكفَّر إلاّ من أجمع أهل الإسلام على تكفيره أو قام على تكفيره دليلٌ لا معارضَ له، حكاه ابن عبد البرّ وابن بطّالٍ وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله إذ يقول: "ولا نكفِّر إلاّ ما أجمع عليه العلماء كلُّهم"(٢١).

مع أنّ من مسلَّماتِ هذه القضيّة العلمَ بأنّ هذا العملَ كفرٌ، فالجاهلُ لا يكفَّر حتى تقومَ عليه الحجّة، يقول الإمامُ أحمد في الجهمية: "لو قلتُ قولَكم لكفرتُ، ولكنّي لا أكفّركم لأنّكم عندي جُهّال"(٢٢)، ويقول شيخ الإسلام: "وهذا المتأوِّل ينبغي إقامةُ الحجّة عليه أوّلاً وإظهارُ خطئه وإعلامُه بالحقّ، كما ينبغي أن تُعلَمَ الموانعُ المانعةُ من التكفير، ومنها الجهلُ والخطأ والإكراه، قال تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ [النحل:١٠٦]، ومنها التأويل السائغ، ولهذا اتّفقَ الصحابة رضي الله عنهم على عدم تكفير من استحلُّوا الخمرَ لوجود الشبهةِ لديهم، وهي تأويلُهم قولَ الله عزّ وجلّ: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا الآية [المائدة:٩٣]"(٢٣).

الإسلام لا يقر الفوضى والإجرام

وبعدُ: أيها المسلمون، فإنّ الغيورين حينما يبيِّنون خطورةَ المجازفةِ في التكفير ويذكرون شروطَ التكفير وضوابطَه فإنهم يُعلِنون للعالَم بأسره أنّ الإسلام بريء من هذا المعتقَد الخاطئ، وأنّ ما جَرى في بلادِنا المحروسة ويجري في بعض بلاد المسلمين من سَفك الدماء المعصومة وإزهاق الأنفس البريئة وأعمال التفجير والتدمير والتخريب والإفساد والإرهاب لهُو من الأعمال الإجراميّة المحرّمة، ولا يجوز أن يُحمَّل الإسلام وأهلُه المعتدلون جَريرةَ هذه الأحداث التي هي إفرازُ فِكرٍ تكفيريّ منحرف، ممّا تأباه الشريعة السّمحة والفِطَر السليمة والعقول المستقيمة.

أيّها الإخوةُ في الله، إنّ ظاهرةَ الغلوّ في التكفير والاعتساف لهي من أخطرِ ما بُليت به الأمّة فحوّلها إلى إسرافٍ في أطراف.

لقد بدأت هذه الفتنةُ بحَرب كلام، وانتهت إلى استحلال الدم الحرام، وزاد شططُها حينما حُمِلَ السلاحُ في وجه الأمّة، وأذكي أُوارُها حينما برزت في صورةِ فتاوى تكفيريّة تحريضيّة، تلقّفها حُدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فسلكوا مسالكَ أهل البغي والإجرام، فهل بعدَ هذا يسَعُ السكوتُ من أهلَ الإسلام؟!

التكفير والتدمير تنعكس آثاره السلبية على العالم بأسره

لقد كان الغيورُ على أبناءِ أمّته يرى خلال الرمادِ وميضَ نارٍ وأنّ الحربَ أوّل ما تكون فتيّةً، واليومَ نرى الأمرَ أمرًا منكرًا، فما زال الفِكر التكفيريّ يسري بقوّةٍ في صفوف شباب الأمة الذين نظر بعضُهم إلى المجتمعات نظرةً سوداويّة قاتمة، وأنّه لا مَخرجَ من المِحَن والبلايا التي رُزئت بها الأمّة إلا بالتكفير ثم التفجير والتدمير.

ومما يزيد في الأسَى ما يُرى من تسرُّب هذه اللوثةِ الخطيرة إلى بعض شباب الأمّة، ويعظُم الأمرُ حينما يكون الحكم بالتكفير جزافًا على وُلاةِ أمر المسلمين ومَن بايعهم على الكتاب والسنة من العلماء الربانيّين، فرُموا بالعَمالة والمداهَنة، بل لقد سَرى الخطَر إلى عوامّ المسلمين وناشئتهم.

العلماء هم أولى الناس بمواجهة ذلك الخطر والعنف لا يواجه بالعنف

وممّا مدّ في أجل هذا الفكرِ المتهافِت وبسَط رواجَه هو التقصيرُ في التصدّي له وذكرِ أسبابه، والتي من أهمِّها ضحالةُ العِلم وقلّةُ الفهم والخطأ في منهجيّة الطلَب والتحصيل، فلم يُؤخَذ العلم من أهلِه المعروفين، بل زُهِّد فيهم، وأُفقِدتِ الثقةُ بهم، مع عدَم الدراية بمقاصِد الشريعة وقواعدِ الفقه ورعاية المصالح العليا في الأمّة والتعلُّق بشُبَه ومتشابهات، مع تركٍ للنصوص المحكمات الواضحات، إضافةً إلى ما يعُجُّ به واقِع الأمّة من صُور من الظلم والاضطهاد، غيرَ أنّ ذلك ليس بمبرِّرٍ ولا مُسوِّغٍ للخَطأ، فالعُنف لا يعالَجُ بالعُنف، وإذا كان المصلحون يرَون الأمّة ممزّقةً والممتلكات مغتصَبة والمقدَّسات مستلَبة فهل المخرَجُ من هذه الرزايا بتكفير الوُلاة والخروج على الجماعة وحمل السلاح في وجه الأمة؟! ألا يفيَق هؤلاء؟! ألا يعتبِرون بمن

حَولهم؟! ألم يقرؤوا التاريخَ ليدركوا كم أضرَّ هذا الفكرُ بالأمّة وصدّها عن دينها وخوّف شبابها من التمسُّك بالسنة والتزام الشريعة؟! ماذا قدّم هذا الفكر الآحاديّ للأمّة؟! وماذا أثمرَ في مسيرةِ الدعوةِ والعملِ الخيريّ والإصلاحي؟! فاللهمّ غُفرًا غُفرًا، أفلا يَسَع هَؤلاءِ ما وسع أنبياءَ الله ورسلَه وصحابة رسول الله والسلفَ الصالح ومن تبعهم بإحسان، فشغلوا أنفسهم تعلُّمًا وتعليمًا ودعوةً وإصلاحًا؟!

أيّها الإخوةُ في الله، أمّا العلاجُ فبالعِلم العِلم، وبالفهم الفهم، وبالحِوار الحوار، حتى لا تخربَ الديار ويحلّ الدّمار ويلحَق بالأمّة العارُ والشّنار، وما أشبهَ الليلةَ بالبارحة، فلقد كفَّر أسلافُ هؤلاء خيارَ هذه الأمة من صحابة رسول الله، ورضي الله عنهم وأرضاهم، وجازى من كفّرهم وعاداهم بما يستحقّ دنيا وأخرى.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أنّ الناس في هذه القضيّة طرفان ووسَط، فأهلُ السنّة والجماعة وسطٌ بين الخوارج والمرجئة، وكما عانتِ الأمّةُ من فِكر التكفير عانت من الإرجاء والتأخير، ولهذا وضَع أهلُ العلم بابَ الردّة ونواقض الإسلام، غيرَ أنّه لا بدّ أن يتصدّى لذلك ذوو العِلم والبصيرة.

وطالَب بعضُ المنهزمين فكريًا بتمييع الدين وذوَبان الشريعة بدعاوي فجّة، ونسبوا إلى مناهج التعليم الشرعيّة النقصَ والثّلب، لا بلَّغهم الله ما يرومون.

والدعوةُ موجَّهةٌ بحرارةٍ إلى شباب الأمّة باليقظة والانتباه وأخذِ الحذر من كلِّ انحرافٍ فكريّ يجانب منهجَ الوسطية والاعتدال.

والنداءُ موجّهٌ إلى شبابِ بلاد الحرمين خاصة وشباب المسلمين عامة الذين نشؤوا على صحّةِ المعتقد والسنّة ومنهج أئمة الدعوة الإصلاحيّة المباركة أن يحذَروا اللوثاتِ الفكريّة المنحرفة، وأن يثبُتوا على منهجهم الصحيح رغم التحديات والمتغيِّرات، وأن يلتحِموا بولاتهم وعلمائهم، وأن يحذَروا من أن يُستغَلّوا أو يستهدَفوا ويستفزُّوا، في أفكارٍ دخيلةٍ أو مناهجَ هزيلة.

وإلى المصطادين بالماء العَكِر المستغلِّين كلَّ هفوةٍ من بعض الأخيار والصالحين أن كُفُّوا عن تعميم الأحكام، وعلى رسلِكم عن الوقيعة في شبابِ الإسلام، فوالله لن يصلُحَ حالُ الأمّة إلا بالقيام بأمرِ الدين ونُصرة حَملتِه والذبِّ عن أعراض الصالحين المصلحين والدعاة الصادقين وإعلاءِ رايةِ الحسبة والدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويعلم الله الذي لا إلهَ غيرُه أنّ ذلك عينُ النُّصح للأمّة والسعي في براءةِ الذمّة وإن شرِق بذلك أناسٌ وطار فرحًا آخرون، فليس يخلُو المرء من قدحٍ ومَدحٍ وإن كان أقومَ من قِدح، لكن العزاء الانتصارُ للحقّ بدليله وإن سخِط الناسُ كلُّ الناس، وحسبُنا أنه محضُ النصيحةِ الموافِقة للنصوص الصحيحة والنقولِ الصريحة، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

الهوامش

(١) أخرجه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (٤٨)، ومسلم في الإيمان (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه، وثبت عن غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.
(٤) السيل الجرار (٥٨٤/٤-٥٨٥).
(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٦١٠٤)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٦٠).
(٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٦٠٤٥)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٦١) واللفظ له.
(٧) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٠٥) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.
(٨) المعجم الأوسط (٧٣٥٤)، وأخرجه أيضا أبو يعلى في مسنده (٢٣١٧)، قال الهيثمي في المجمع (١٠٧/١): "رجاله رجال الصحيح"، ولم يعزه لأحمد.
(٩) من الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، المشهورة بنونية ابن القيم.
(١٠) العقيدة الطحاوية (ص١٩). (١١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٦). (١٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٨).
(١٣) التفرقة بين الإيمان والزندقة، انظر: انظر: فتح الباري (٣٠٠/١٢).
(١٤) شرح صحيح مسلم (١٥٠/١). (١٥) الرد على البكري (٤٩٢/٢). (١٦) انظر: الدرر السنية ().
(١٧) مجموع الفتاوى (٤٦٦/١٢). (١٨) مجموع الفتاوى (٣٧٢/١٠).
(١٩) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣)، والطبري في تفسيره (٢٥٦/٦)، والبيهقي في الكبرى (٢٠/٨)، وصححه الحاكم (٣٢١٩).
(٢٠) انظر: فتح المغيث (٦٩/٢). (٢١) انظر: الدرر السنية (٦٥/١).
(٢٢) قال نحوه ابن تيمية للجهمية من الحلولية والنفاة، انظر: الرد على البكري (٤٩٤/٢).

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة الرابعة «١٢١ : ١٥٠»

إعداد / علي حشيش

١٢١- لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتفحِّشًا ، وكَانَ يقولُ : «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُم أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا». [متفق عليه من حديث ابن عمرو]

١٢٢- «ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمْرَينِ إلا أَخَذَ أيْسَرَهُما ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كانَ إِثْمًا كانَ أبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رسولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، إلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ للَّهِ بِهَا» . [متفق عليه من حديث عائشة]

١٢٣- «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بأهْلِهَا ، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

١٢٤- «أنَّ النبيَّ ﷺ تُوفِّي وهُو ابنُ ثَلاثٍ وَستِّينَ». [متفق عليه من حديث عائشة]

١٢٥- «لي خمسةُ أسماء : أنا محمدٌ ، وأحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللّه بي الكفرَ ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمي ، وأنا العاقبُ(١)». [متفق عليه من حديث جبير بن مطعم]

١٢٦- «اختَتَنَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ ، وهُوَ ابنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بالقَدُّومِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٢٧- «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٢٨- رَأيتُ النبيَّ ﷺ والحَسَنُ عَلَى عَاتِقِهِ يقولُ : «اللَّهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه». [متفق عليه من حديث البراء]

١٢٩- «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ، خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم في الإِسْلامِ ، إذَا فَقِهُوا». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٣٠- «جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال : أُمُّكَ . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : «أُمُّكَ ؟» قال : ثم مَنْ ؟ قال : «أُمُّكَ»، قالَ : ثم مَنْ ؟ قال : «ثُمَّ أبوكَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٣١- «جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ ، فاستَأْذَنَه في الجِهَادِ ، فقالَ : «أَحَيٌّ والِدَاك ؟» قالَ : نَعَمْ . قالَ : «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ». [متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو]

١٣٢- «لا تَبَاغَضُوا ، ولا تَحاسَدُوا ، ولا تَدَابَرُوا(٢)، وكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، لا يَحِلُّ لِمسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ». [متفق عليه من حديث أنس]

١٣٣- «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَان ، فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا ، وخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بالسَّلام». [متفق عليه من حديث أبي أيوب]

١٣٤- «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلا كَفَّرَ اللهُ بها عَنْهُ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُها». [متفق عليه من حديث عائشة]

١٣٥- «مَا يُصِيبُ المسلِمَ مِنْ نَصَبٍ[٣]، ولا وَصَبٍ[٤]، وَلا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، وَلا أَذًى، ولا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». [متفق عليه من حديث أبي سعيد]

١٣٦- «إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي للظَّالِمِ حَتَّى إذَا أَخَذَه لَمْ يُفْلِتْهُ، قالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾» [متفق عليه من حديث أبي موسى]

١٣٧- «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ». [متفق عليه من حديث جرير]

١٣٨- «لما قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابِهِ، فَهُو عِنْدَهُ، فَوْقَ العَرْشِ، إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٣٩- «قِيلَ للنبيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ. قَالَ: المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». [متفق عليه من حديث أبي موسى]

١٤٠- «إنَّه لَيَأْتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يومَ القِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ». وقال: اقرءوا: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٤١- «حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٤٢- «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، والمَاشِي على القَاعِدِ، والقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٤٣- «جَمَعَ لي النَّبيُّ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ». [متفق عليه من حديث سعد]

١٤٤- «مَا رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلاً بَعْدَ سَعْدٍ، سَمْعِتَهِ يقولُ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي». [متفق عليه من حديث علي]

١٤٥- «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» يَعْنِي الثُّوْمَ «فَلا يَقْرَبنَّ مَسْجِدَنَا». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

١٤٦- «وَيْلَكُم، أو وَيْحَكُم، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

١٤٧- «قَنَتَ النَّبيُّ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ». [متفق عليه من حديث أنس]

١٤٨- «أَوْصَانِي خَلِيلي بِثَلاثٍ؛ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَى، ونَومٍ على وِترٍ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

١٤٩- «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِي ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قالَ: «ذاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْه» [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

١٥٠- خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ[٥] الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فقالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ في قُبُورِهَا». [متفق عليه من حديث أبي أيوب]

الهوامش:

(١) العاقِبُ: ليس بعده نبي. (٢) تَدَابَرُوا: تتعادوا.
(٣) نصب: تعب. (٤) وصب: وجع.
(٥) وَجَبَت: غربت.

مختارات من علوم القرآن

خصائص القرآن المكي والمدني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا في الحلقة السابقة مقدمة عن أهمية معرفة المكي والمدني من آيات وسور القرآن الكريم، وعرَّفنا المكي والمدني.

وأشرنا إلى أن الطريق الموصل إلى معرفة المكي والمدني هو ما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك.

وفي هذه الحلقة نذكر إن شاء الله تعالى خصائص القرآن المكي والمدني.

بقلم/ مصطفى البصراتي

أ- خصائص القرآن المكي

أولاً: الخصائص الأسلوبية

١- قصر أكثر آياته وسوره، وذلك لنزوله بمكة، وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة، وتملكهم لناصية القول، والخطابة والشعر وبلوغهم الغاية في لطف الحس، وذكاء العقل، وسرعة الخاطر، فكان من المناسب لهم النذر القارعة والعبارات الموجزة، والفقرات القصيرة ذات اللفظ الجزل، والجرس القوي، والمعنى الفحل، فَتَصُخُّ الآذان وتستولي على المشاعر وتلجمُ ألسنتهم عن المعارضة وتدعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها أن يلقي عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز كما قال الوليد بن المغيرة القرشي لما سمع القرآن: «والله لقد سمعت كلامًا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته».

٢- كثرة أسلوب التأكيد ووسائل التقرير ترسيخًا للمعاني، كالإكثار من القسم وضرب الأمثال، والتشبيه.

٣- كل سورة فيها لفظ «كلا» فهي مكية وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن.

قال العماني: «وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم». اهـ.

٤- كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع. وفي الرعد خلاف.

ثانيًا: الخصائص الموضوعية

١- تقرير أسس العقيدة ودعوة الناس جميعًا إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وعلى بعث الأجساد مع أرواحها من بعد الموت للحساب.

٢- ذكر قصص الأنبياء والأمم الخالية ودعوة الناس إلى الاعتبار بهم، إلا ما يتعلق بالحديث عن مريم وعيسى عليه السلام وقضية ولادته فقد نزل بعض ذلك في المدينة محاججًا لأهل الكتاب.

٣- محاجة المشركين ومجادلتهم وإقامة الحجة عليهم في بطلان عبادتهم الأصنام وبيان أنها بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تخلق، ولا تحس، ولا تعي أي

شيء، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم ونبذ التقليد بغير حجة وعلم، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢- ٢٤]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٣٠]، وإقامة الأدلة على أن القرآن حق لا شك فيه وأنه من عند الله، وقد وقع التحدي بالقرآن في ثلاث سور مكية ولم يقع التحدي به في القسم المدني إلا في سورة البقرة.

٤- الدعوة إلى أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا سيما ما يتعلق منها بحفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب وهي الكليات الخمس التي تتفق فيها جميع الشرائع وذلك كالحث على الثبات على العقيدة والاستهانة بكل شيء في سبيلها والأمر بالصلاة والصدقة، والصدق، والعفاف وبر الوالدين وصلة الرحم، والعفو والعدل، والإحسان والتواصي بالحق، والخير، والصبر، والنهي عن القتل ووأد البنات والظلم والزنا وأكل أموال الناس بالباطل وذلك مثل قوله تعالى في أواخر الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآيتين- وفي سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

ب- خصائص القرآن المدني

أولاً: الخصائص الأسلوبية:

١- طول أكثر آياته وسوره لاشتمالها على الأشياء السابقة، وهي تقتضي البسط والإطناب وإطالة النَّفَس كما أن أهل المدينة لم يكونوا في درجة أهل مكة في البلاغة والفصاحة ولا سيما اليهود الذين كانوا يساكنونهم في المدينة، فكان الحال باعثًا على الإطالة، والإطناب في مقام الإطناب لازم، والإيجاز في مقام الإيجاز واجب، ووضع أحدهما مكان الآخر ليس من البلاغة في شيء، وقد سلك القرآن كلتا الطريقتين مع كونه في أعلى درجات البلاغة والفصاحة.

٢- الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عندما يتعرض للمنافقين وفضح نواياهم الخبيثة.

ثانيا: الخصائص الموضوعية:

١- التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والقصاص، والنكاح، والطلاق، والبيوع، والمداينات، والربا، والحدود كحد الزنى، والسرقة، والكفارات، ككفارة القتل الخطأ والظهار والأيمان إلى غير ذلك مما اشتملت عليه السور المدنية كما في سورة البقرة والنساء والمائدة والنور، وذلك لأن حياة المسلمين في المدينة بدأت في الاستقرار وأصبح لهم كيان ودولة وسلطان، ومن شأن الجماعة التي لها رابطة تربطها أن تكون في مسيس الحاجة إلى تشريع يتكفل بما تحتاج إليه في دينها ودنياها.

٢- الأمر بالجهاد والقتال والتعليق على الغزوات، وما تعلق بها من شأن الغنائم والأسرى والمنافقين.

٣- البحث في شئون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما إلى الكتاب والسنة.

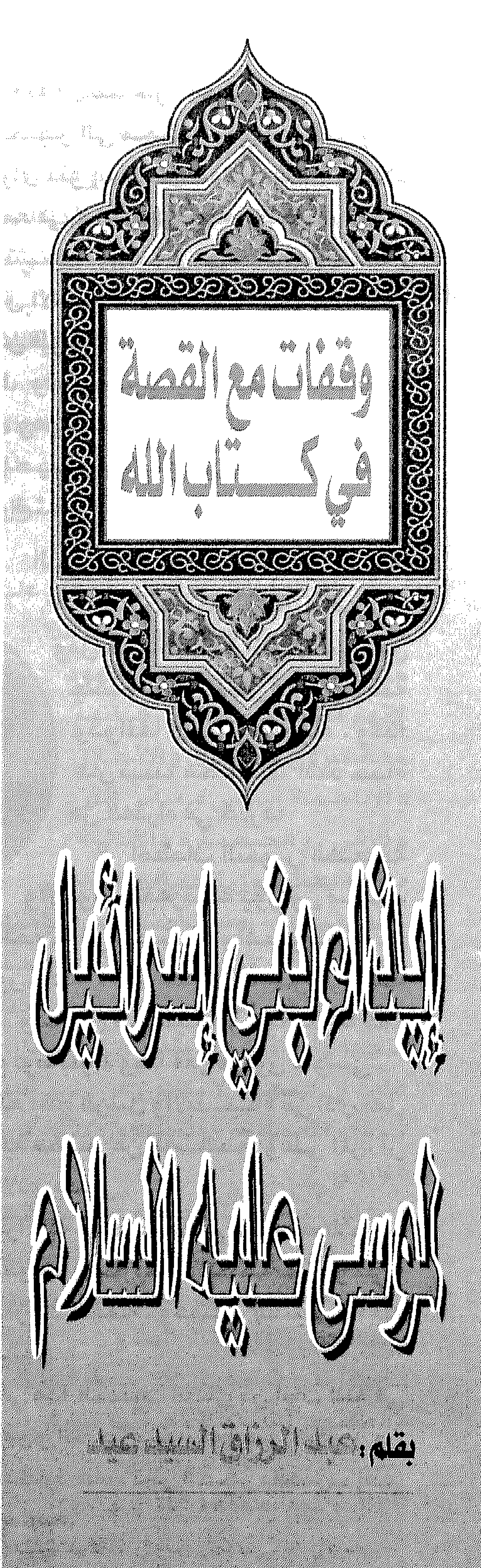
٤- محاجة أهل الكتاب وبيان ضلالهم في عقائدهم التي ضاهوا بها أسلافهم من زائغي الأمم السابقة كقولهم بالتثليث أو الحلول أو الإبنية أو الصلب.

٥- كل سور فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.

٦- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها، فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.

وبعد: فهذه خصائص القرآن المكي والمدني ذكرتها بإيجاز، إلا أن الشيء الذي ينبغي التنبيه عليه قبل أن ننتقل من هذا المبحث هو أن بعض هذه الخصائص خصائص غالبية كالضوابط، إذ لا يعني حينما يقال: إن القسم المكي امتاز بتقرير أسس العقيدة لا يعني ذلك- أن القسم المدني يخلو من الحديث عن العقيدة، وإنما تعني هذه الخاصية أنها في القسم المكي أوسع منها في المدني.

والله من وراء القصد



وقفات مع القصة في كتاب الله

إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام

بقلم: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله ذي الجلال والإكرام والعزّة التي لا ترام، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء هو خالقه، وكل حي هو رازقه، وكل نور هو مُشرقه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ورحمته للعالمين، أما بعد:

فمن المعلوم عن بني إسرائيل شدّة إيذائهم للأنبياء بشتى أنواع الإيذاء النفسي والبدني، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، هكذا وصف الله حال اليهود في التطاول على أنبياء الله، والآيات والشواهد كثيرة على تعنّت بني إسرائيل مع النبيين، ومع كل من يأمر بالقسط، وقد أشرنا في أحاديثنا السابقة إلى جوانب من ذلك، وسنشير مستقبلاً إن شاء الله إلى هذا الأمر بشيء من التفصيل، لكننا اليوم بصدد الحديث عن لون محدّد من الإيذاء الذي وقع على نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، وقد جاء ذِكْر ذلك في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبينا محمد ﷺ.

١- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

٢- روى البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص، وإما أُدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا موسى عليه السلام يومًا وحده يغتسل، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عَدَا بثوبه فأخذ موسى عصاه فرأوه عريانًا أحسن ما

خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾.

وقوله : «آدر» أو «أدرة» أي : انتفاخ الخصيتين وكبر حجمهما .

والحديث ورد ذكره بروايات متقاربة في صحيح البخاري في أكثر من باب ، كما ورد أيضًا في صحيح مسلم ، والحديث كما نلاحظ جاء تفسيرًا لآية الأحزاب وموضحًا لنوع من أنواع إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، وبنو إسرائيل الذين ما برحوا يُؤْذُون موسى عليه السلام بعصيانهم ومخالفتهم لمنهج الله حتى وصل بهم الأمر أن عبدوا عجلاً واعتبروه إلههم الذي لم يهتد إليه موسى ، وغير ذلك من الأمور العِظام التي تناولناها خلال حديثنا الطويل عنهم .

وهاهم يواصلون هنا إيذاء نبيهم ورسولهم الكريم الذي هو من أولي العزم، والذي كلّمه ربه تكليمًا ، لكن الإيذاء هذه المرة في بدن موسى عليه السلام . كان موسى يغتسل يومًا وحده مستترًا عن الناس، لكن الجهّال منهم فهموا مسلك موسى عليه السلام على غير الحق ، فأشاعوا بين الناس كذبًا وزورًا أن سبب استتار موسى عنهم إنما يرجع لعلّة في بدنه أو عيب يخفيه عن الناس مثل البرص ، أو غِلَظِ خصيته أو غير ذلك من العيوب الجسدية ، ولا شك أن هذا القول فيه سفاهة ، وتطاول على مقام النبوة ، فأراد الله عز وجل أن يظهر براءة موسى من كل عيب خلقي وخُلقي فوقعت قصة هذا الحجر الذي حمل ثوب موسى وانطلق به عند القوم ، وخرج موسى من الماء يجري خلف الحجر ويقول للحجر : ثوبي ثوبي ، وعندما وصل الحجر إلى مجتمع بني إسرائيل وقف هناك ورأى بنو إسرائيل موسى عليه السلام سليمًا معافى لا عيب في بدنه فاكتمل له الكمال الذي لا تشوبه شائبة لا في خلقه ولا خُلُقه ، ولتخرس الألسنة التي أشاعت الكذب والبهتان ولتطمئن قلوب المؤمنين ، وتناول موسى ثيابه ولبسها ، وأخذ يضربُ الحجر ضرباتٍ متتالية بعصاه وهو يعلم أنه حجر لكنه فعل فعلاً لا تفعله الحجارة ففعل موسى معه فعلاً لا يُفعل بالحجارة .

الدروس والفوائد المستنبطة

١- عظم حياء موسى عليه السلام ، ومن حيائه عدم إظهار شيء من جسده للناس، فكان هذا ورعًا منه وموافقًا لأخلاق الأنبياء ، وكذا كان نبينا محمد ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها.

٢- أصحاب النفوس الضعيفة والأهواء المغرضة يؤولون مسلك الصالحين على حسب هواهم، وبئس ما يصنعون ، كما فعل الجهال مع موسى عليه السلام . وهذا من قلب الحقائق وتغييرها كما فعل قوم لوط بلوط وكما فعل فرعون بموسى .

٣- لم ينج الرسل والأنبياء من أذى أهل الجهالة فضلاً عن الصالحين وعلى المرء أن يواجه الأذى بصبر .

٤- برأ الله سبحانه موسى عليه السلام مما رماه المغرضون بطريقة قد تفاجأ بها موسى ؛ ولكنها أزالت الغمة ، وكشفت الشبهة، وكله لحكمةٍ بالغةٍ.

٥- في هذا الحديث آيتان من آيات الله في خلقه : فرار الحجر بثياب موسى ، وليس من شأن الحجارة ذلك ، تأثر الحجر بالضرب الذي ظهر أثره عليه.

٦- الأنبياء أكمل الناس خُلقًا وخَلْقًا ، لأن الله يصطفيهم على أكمل وجه .

٧- إن اليهود أعداء الله ، وأعداء ملائكته ومنهم «جبريل وميكال» ، وأعداء الأنبياء، وأعداء الحق أينما كان، والتوراة التي حرّفوها طافحة بهذه العداوة ، ولولا خشية الإطالة لذكرت أمثلة عديدة ؛ لكن يكفينا أن الله لعنهم في كتابه على لسان رسله، وتوعدهم بالعذاب الأليم والخسران المبين في الدنيا والآخرة : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨] .

٨- لقد عاب اليهود على موسى عليه السلام حياءه ، وتستره ، وهل هذا خُلق يعاب؟ نعم يُعاب عند اليهود لأنهم منكوسو الفطر ، فإنهم يعتبرون التعري والانحلال والإباحية أسمى معاني الفن والرقي ، والحضارة والأناقة ، بينما يعتبرون الحياء والتستر والفضيلة - وبخاصة عند المؤمنات الفاضلات - تأخرًا وانحطاطا، ويعتبرون الحجاب الإسلامي ستارًا تخفي المؤمنة تحته قُبحها وأمراضها ، وتشوهات جسدها ، قبحهم الله ، إن اليهود لا يكفون عن نشر الرذيلة في أنحاء المعمورة ، وينطلقون بذلك من منطلق عقائدي.

يقول غوستاف لويون في كتابه «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى» : «الزنى بالأخت، والبنت ، والأم ، واللواط ، والمساحقة، ومواقعة البهائم من أكثر الآثام كانت ولا تزال شائعة بين ذلك الشعب اليهودي. لقد خلطوا اللذات الآثمة بالطقوس الدينية ، فغدا السكر نوعًا من العبادة، هذا ماضيهم السحيق ، أما واقعهم المعاصر فهم مستنقع الرذائل».

يقول الكاردينال مردل : «لقد ثبت أن اليد اليهودية كانت دائمًا ولا تزال وراء صدور كل كتاب فاحش ومجلة عاهرة تستفزنا صورها وتشمئز منها نفوسنا».

وأقول جازمًا : إنه ما من مشهد خليع أو منظر فاجر أو كلمة خبيثة تقع على الأرض إلا وعلى اليهود إثمها الأول لأنهم من ورائه، ويتفاخرون بذلك ويعلنونه . يقول قائلهم وهو المدعو أوسكار ليفي : «نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه».

هذه عقيدة اليهود وهذا سلوكهم ، الفساد والإفساد ، وصدق ربنا سبحانه وتعالى الذي وصفهم بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤] . وليس بعد قول الله قول، وليس بعد وصف الله وصف ، وهذا يغنينا عن كثير من الاستشهادات لفساد اليهود في الأرض والتي لو جمعناها لملأت مجلدات، وتأمل قوة التعبير بقوله تعالى : «ويسعون» ، فإن في ذلك ما يشير إلى انطلاقهم في هذا الأمر بسعي حثيث نابع من عقيدة شيطانية عششت في عقولهم وظهرت في سلوكهم ، و«الفساد» يشمل الفساد في العقيدة ، والفساد في السلوك والأخلاق ، و«الأرض» تشير إلى الشمول .

٩- ينهى الله المؤمنين عن التشبه باليهود في إيذائهم لأنبيائهم وصالحيهم ، وكذلك التشبه بهم في شيء من عقيدتهم أو أخلاقهم أو سلوكهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ الآية .

هذا وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما نقول ، وأن يوفقنا لقول الحق والعمل به . وإلى لقاء . والسلام عليكم ورحمة الله .



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تضافرت الأدلة الشرعية كتابا وسنةً وإجماعًا على وجوب فهم الإسلام في ضوء منهاج سلف هذه الأمة، الذي هو منهج الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالخير، لأنه الفهم المجمع على صحته على توالي القرون، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧].

وعليه فلا يجوز لأي فرد كائنًا من كان أن ينتهج منهجًا مغايرًا لمنهجهم لما دلت عليه الآية السابقة.

ودونك في هذا المقال صورًا عملية تؤيد ذلك وتؤكده من خلال مواقفهم المضيئة مع أهل البدع مما يدل على أنهم على علم وقفوا وببصر ثاقب أخذوا.

صور من إنكار السلف على المبتدعة

أولا: موقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أصحاب حلقات الذكر المبتدع

عن عمرو بن سلمة: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أرَ - والحمد لله - إلا خيرًا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قومًا حِلَقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حَصًى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك وانتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حَصًى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملَّة أهدى من ملَّة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

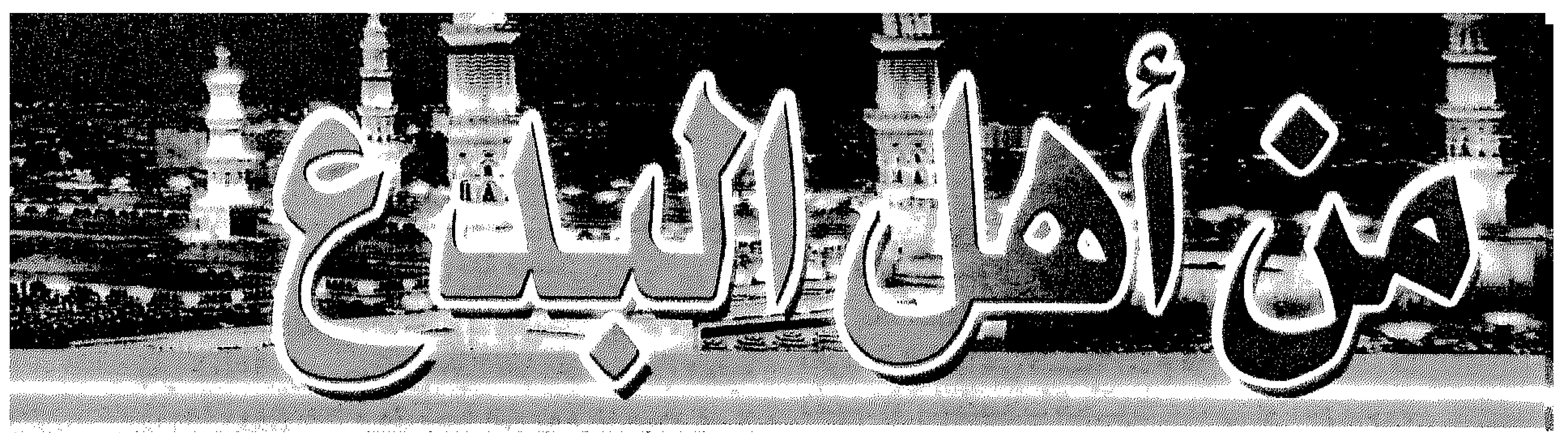
وأيم الله ما أدري، لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

[أخرجه الدارمي وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة ١٢/٥]

هذا الأثر العظيم تضمن أصولاً عظيمة وهي:

١- أن الذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة، فعندما شرع الله الذكر لم ينس وسيلته؛ فقد كان رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه، ويقول: «إنهن مستنطقات». [أخرجه أبو داود ١٥٠٢]

وكثير من الناس إذا أنكرت عليه بدعة يفعلها أو محدثة يرتكبها، يقول لك مسوغًا فعله: «هذه



وسيلة، والغاية عبادة الله، وللوسائل حكم الغايات أو المقاصد».

فهل قاعدة: «للوسائل حكم المقاصد» قاعدة مطردة؟ وهل تنطبق على البدع التي نحن بصدد الكلام عليها؟ أم أن لها موردًا آخر؟

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله مبينًا وجه الصواب في هذه القاعدة:

«...لا يلزم ذلك، فقد يكون الشيء مباحًا، بل واجبًا – ووسيلته مكروهة – كالوفاء بالطاعة المنذورة، هو واجب مع أن وسيلته – وهو النذر – مكروه منهي عنه، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكروه، ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة، وهذا كثيرٌ جدًا.

فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكروه. [مدارج السالكين ١/١١٦]

وهذه قصة جليلة، ترى فيها بجلاء كيف كان علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتعاملون مع العبادات بوسائلها ومقاصدها ونيات أصحابها، وبيان ذلك:

أ – قوم يذكرون الله تعالى: تكبيرًا، وتهليلاً، وتسبيحًا.

ب – استعملوا في ذكرهم حَصًى كـ «وسيلة» لعدِّ هذا التكبير والتسبيح.

ج – نياتهم في عملهم هذا حسنة، يريدون به: عبادة الله، وذكره، وتعظيمه، ولذلك قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

د – ومع ذلك أنكر عليهم عبد الله بن مسعود هذا العمل ضمن هذه الوسيلة؛ لأنه لم يعهد عن رسول الله ﷺ، رغم وجود المقتضي له في عصره.

هـ – رتَّب على عملهم المحدث هذا الإثم لمخالفتهم السنة ومواقعتهم البدعة.

٢- البدعة الإضافية ضلالة:

وهي التي تستند إلى دليل من جهة الأصل، وغير مستندة من جهة الكيف والصفة؛ فسميت إضافية؛

إعداد: معاوية محمد هيكل

لأنها لم تخلص لأحد الطرفين: المخالفة الصريحة، أو الموافقة الصحيحة.

فهؤلاء القوم لم يقولوا كفرًا، ولم يفعلوا نكرًا – فيما يظهر لهم – بل كانوا يذكرون الله، وهو أمر مشروع بالنَّصِّ، إلا أنهم خالفوا الكيفية والصفة التي سنها محمد ﷺ، فأنكر الصحابة عليهم، وأمروهم أن يعدوا سيئاتهم.

٣- الله سبحانه وتعالى لا يُعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء، والعوائد، والبدع.

٤- البدعة تميت السنة، فهؤلاء النفر اخترعوا صفة للذكر لم تُؤثر عن رسول الله ﷺ، فأماتوا هدي محمد ﷺ، وهذا أصل فهمه السلف الصالحون، وعلموا يقينًا أن البدعة والسنة لا تجتمعان.

قال التابعي الجليل حسان بن عطية رحمه الله: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم، إلا نزع من سنتهم مثلها». [أخرجه الدارمي ١/٤٥]

٥- البدعة سبب الهلاك؛ لأنها تقود إلى ترك السنة، وفي ذلك ضلال بعيد.

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم». [مسلم ٦/١٥٦]

وإذا ضلت الأمة هلكت، لذلك قال عبد الله بن مسعود لتلك الحلق: «يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم».

وفي الأثر دلالة على أن الصحابة جميعهم على هذا الإنكار؛ لأن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه احتج على الحلق بأن الصحابة رضي الله عنهم متوافرون.

وهذا شاهد صريح على أن الصحابة رضي الله عنهم علموا أن منهجهم حجة على من بعدهم، مما يؤكد حجية منهج السلف.

٦ - **البدعة بريد الكفر**؛ لأن المبتدع نصب نفسه مشرعًا، ولله ندًا، فاستدرك على أحكم الحاكمين، وظن أنه على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ.

٧ - **البدع تفتح باب الخلاف على مصراعيه** - وهو باب ضلالة - ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شيء؛ لأن الدال على الخير كفاعله.

٨ - **التقليل من شأن البدع يقود إلى الفسوق والعصيان والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم**، ألم تر أن هؤلاء النفر أصبحوا في صفوف الخوارج يوم النهروان يقاتلون الصحابة رضي الله عنهم بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي استأصل شأفتهم في ذلك اليوم المشهود.

قال البربهاري رحمه الله: «واحذر صغار المحدثات؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرًا، يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت دينًا يدان به، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلنَّ، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ، أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فيه أثرًا عنهم، فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا، فتسقط في النار» [طبقات الحنابلة ٢/ ١٨- ١٩]

٩ - **إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة**، والنية الحسنة لا تجعل الباطل حقًا؛ لأن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل، فلابد أن ينضم إليها التقييد بالشرع. [مدارج السالكين ١/ ٨٥]

ولذلك لم يجعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حسن نياتهم سبيلاً للتغاضي عن عملهم، أو دليلاً على صحة فعلهم، إذ النية الحسنة لا تجعل البدعة سنة، ولا القبيح حسنًا.

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك:٢]، قال: «أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة».

قال ابن القيم - رحمه الله -: «قال بعض السلف: ما من فعلة - وإن صغرت - إلا ينشر لها ديوانان: لم؟ وكيف؟ أي: لم فعلت؟ وكيف فعلت؟

فالأول: سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح في الناس أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل؟

أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه؟

ومحل هذا السؤال أنه: هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟

والثاني: سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعبد؛ أي: هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولي؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه؟

فالأول: سؤال عن الإخلاص، والثاني: عن المتابعة، فإن الله لا يقبل عملاً إلا بهما.

فطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوى يعارض الاتباع.

وعلى ذلك فلا يجوز تسويغ باطل العمل بمجرد أن نية صاحبه حسنة، ولذلك قال عبد الله بن مسعود للحلق: «وكم من مريد للخير لن يصيبه».

[انظر البدع وأثرها السيء في الأمة/ للشيخ الهلالي حفظه الله]

١٠ - **الرد على أصحاب الفرق الضالة**: قال الشيخ الألباني رحمه الله: في هذه القصة عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة، فإن هؤلاء إذا أنكر عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر من أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكر ما ألصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكن مشروعة على عهد النبي ﷺ، وإلا فما الذي أنكره ابن مسعود رضي الله عنه على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلق، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرع عن الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]. على ذلك أن السنة الثابتة عنه ﷺ فعلا وقولا إنما هي التسبيح بالأنامل. [السلسلة الصحيحة (١٢/٥)]

ثانيا: موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنه من الذكر المبتدع

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان من أشد الصحابة إنكارًا للبدعة، وهجرًا للمبتدعين، فقد سمع رجلاً عطس، فقال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

فقال له: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، بل قال: «إذا عطس أحدكم، فليحمد الله»، ولم يقل: وليصل على رسول الله.

ثالثا: وعلى نفس النهج سار التابعون

ففي هذا الباب ما ورد عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة.

[البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٦٦)]

وهذه الحجة الربانية من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب، فهي صاعقة على رؤوس المبتدعة الذين يستحسنون كثيرا من البدع باسم الذكر والصلاة، ثم ينكرون على أتباع السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلا، أو أنهم يكرهون الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، فاحفظ هذا الجواب، فإنه عين الصواب.

وهذه الآثار تضمنت فوائد جليلة منها:

أ - اعتراض الصحابة على كلٍّ من خالف السنة الصحيحة، وربما أغلظوا في الرد عليه.

ب - «إن كل عبادة مزعومة لم يشرعها لنا رسول الله ﷺ بقوله ، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله، فهي مخالفة لسنته . وعليه فالبدعة التركية ضلالة كما أن البدعة القولية أو الفعلية ضلالة فلا ينبغي قول أو فعل أو ترك ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

لأن السنة على قسمين : سنة فعلية، وسنة تركية. فما تركه ﷺ من العبادات ، فمن السنة تركه.

ألا ترى مثلاً : أن الأذان للعيدين ولدفن الميت مع كونه ذكرًا وتعظيمًا لله عز وجل لم يجُز التقرب به إلى الله عز وجل ، وما ذاك إلا لترك رسول الله ﷺ له.

وقد فهم هذا المعنى أصحابه رضي الله عنهم، فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيرًا عامًا ، كما هو مذكور في موضعه». [حجة النبي ﷺ للألباني رحمه الله (١٠٠:١٠١)]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «فأما ما اتفق السلف على تركه ، فلا يجوز العمل به؛ لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به».

[فضل علم السلف ص٣١]

ولابن قيم الجوزية رحمه الله تفصيل حسن فيما نقله الصحابة رضي الله عنهم لِما تَركه ﷺ حيث قال : «أما نقلهم لتركه ﷺ، فهو نوعان، وكلاهما سنة :

أحدهما: تصريحهم بأنه ترك كذا وكذا ولم يفعله ؛ كقوله في شهداء أحد : «ولم يغسلهم ولم يصلِّ عليهم»، وقوله في صلاة العيد: «لم يكن أذان ، ولا إقامة ، ولا نداء»، وقوله في جَمْعِه ﷺ بين الصلاتين «ولم يسبح بينهما ، ولا على إثر واحدة منهما» ونظائره .

والثاني: عدم نقلهم لما لو فعله ؛ لتوفرت هممهم ودواعيهم ، أو أكثرهم ، أو واحد منهم، على نقله ، فحيث لم ينقله واحد منهم ألبتة ، ولا حدث به في مجمع أبدًا، علم أنه لم يكن .

ثم ذكر رحمه الله عدة أمثلة على ذلك ، منها : تركه ﷺ التلفظ بالنية عند دخول الصلاة ، وترك الدعاء بعد الصلاة على هيئة الاجتماع . وغير ذلك.

ثم قال : «ومن ههنا يعلم أن القول باستحباب ذلك خلاف السنة ، فإن تركه ﷺ سنة ، كما أن فعله سنة، فإذا استحببنا فعل ما تركه ، كان نظير استحبابنا ترك ما فعله ، ولا فرق». [أصول السنن ص٧٥]

رابعا: إنكار الأئمة على المبتدعة

فمن مواقفهم المضيئة بنور الحق ؛ موقف الإمام مالك رحمه الله عندما أتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله، من أين أُحْرِم؟

قال : «من ذي الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله ﷺ».

فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر .

قال : لا تفعل ، فإني أخشى عليك الفتنة.

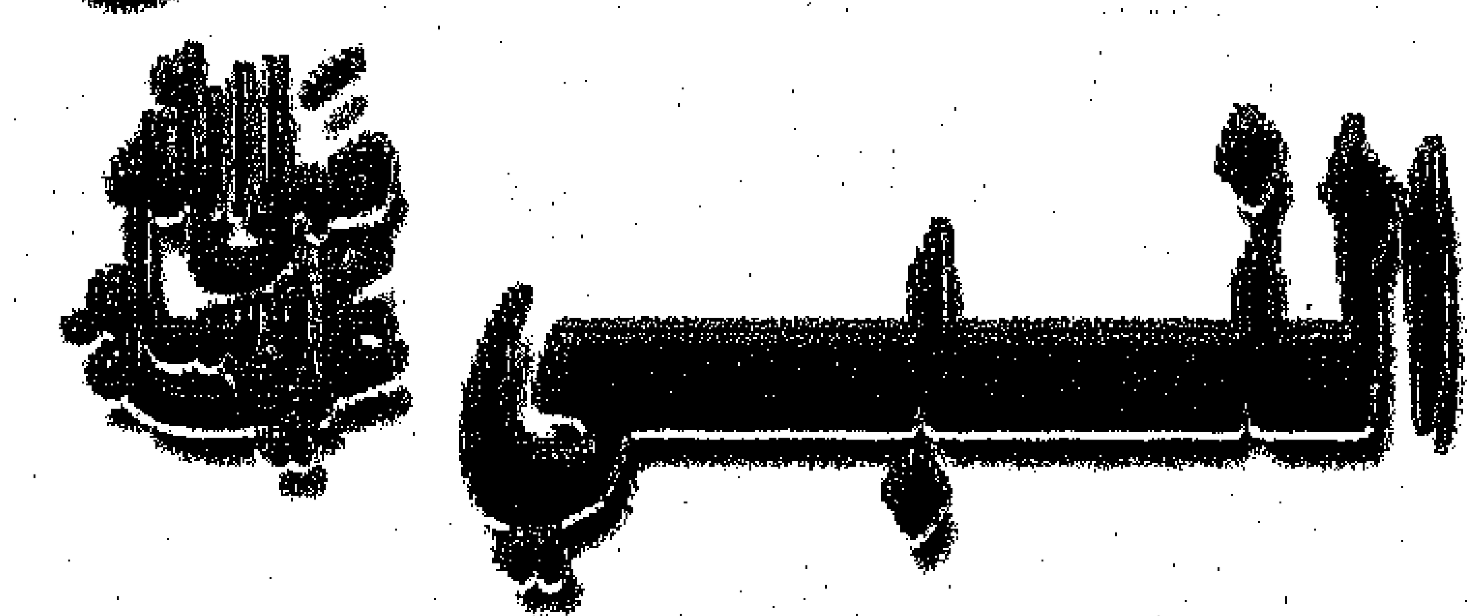
فقال : أي فتنة هذه ؟ إنما هي أميال أزيدها.

قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ ؟ إني سمعت الله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

[الفقيه والمتفقه (١/١٤٨)]

والحمد لله رب العالمين.

فضل الصلاة على



إعداد / اللجنة العلمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

إن أحب البشر على الإطلاق عند الله وعند المؤمنين؛ من كان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين، إنه سيد البشر، سيد ولد آدم سيدنا محمد، الذي ما عرفنا عز الدنيا والآخرة إلا به.

ووالله إنا لنشرف بالانتساب إليه وإلى ملته وسنته، ونفتخر أن نقول قال رسولنا وأمر رسولنا ونهى رسولنا، ولهذا وأكثر من هذا أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه فقال سبحانه:

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾.

قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: السفلي والعلوي جميعًا.

معنى الصلاة على النبي ﷺ

قال أبو العالية: «صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك له من الله، والمراد طلب الزيادة، لا طلب أصل الصلاة» ذكره الحافظ في الفتح، وردّ القول المشهور أن صلاة الرب الرحمة، وفصل ذلك ابن القيم في جلاء الأفهام. فقال رحمه الله: بل الصلاة المأمور بها فيها «أي في الآية» هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه. فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشارة بذكر شرفه وفضله، والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى فقد تضمنت الخبر و الطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه: ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به. اهـ.

[جلاء الأفهام ص٨١]

فضل الصلاة عليه ﷺ

والأحاديث في فضلها والحث عليها أكثر من أن تُحصر ولكن نشير إلى أحرفٍ من ذلك تنبيهًا على ما سواها، وتبركًا بذكرها.

١ - عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خرج عليهم يومًا يعرفون البِشْر في وجهه، فقالوا: إنا نعرف الآن في وجهك البِشر يا رسول الله، قال: «أجل أتاني الآن آتٍ من ربي، فأخبرني أنه لن يصلي عليَّ أحد من أمتي إلا ردها الله عليه عشر أمثالها». [رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني في فضل الصلاة على النبي رقم(١)]

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ارتقى النبي ﷺ على المنبر درجة، فقال: "آمين"، ثم ارتقى الثانية، فقال: "آمين"، ثم ارتقى الثالثة، فقال: "آمين"، ثم استوى فجلس، فقال أصحابه: "عَلامَ أمَّنْتَ؟" قال: "أتاني جبريل، فقال: رغم أنف امرئ ذُكِرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، فقلت: آمين. فقال: رغم أنف امرئ أدرك أبويه فلم يدخل الجنة" فقلت: "آمين"، فقال: "رغمٌ أنف امرئٍ أدرك رمضان فلم يغفر له"، فقلت: "آمين".

[أخرجه الحاكم وصححه الألباني في فضل الصلاة على النبي رقم(١٩)]

٣ - وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوا قبري عيدًا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم».

[صَحيح برقم (٢٠) في فضل الصلاة على النبي ﷺ]

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي

ﷺ قال: «إن لله في الأرض ملائكةً سياحين يبلغوني من أمتي السلام». [صحيح الجامع رقم ٢١٧٤]

٥ - وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصلاة عليَّ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليَّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة».

[حديث حسن في صحيح الجامع رقم ١٢٠٧]

٦ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشرًا». [حسنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٠٩]

٧- وعن علي بن حسين عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن البخيل لمن ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليَّ». [رواه النسائي وابن حبان وجود إسناده الألباني في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم(٣١)]

٨ - وعن الحسين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ذُكِرْت عنده فخطئ الصلاة علي، خطئ طريق الجنة». [صحيح الجامع (٦٢٤٥)]

٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله، ولم يصلوا على نبيهم ﷺ، إلا كان مجلسهم عليه ترة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أخذهم». [صحيح الجامع (٥٦٠٧)]

مِنْ صيغ الصلاة على النبي ﷺ

- عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ، حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ، قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم» رواه مسلم.

- عن أبي محمد كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه، قال: خرج علينا النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ". متفق عليه.

وعن أبي حُمَيد الساعدي، رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا: اللهم صل على محمدٍ، وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمدٍ، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد" متفق عليه.

مواطن الصلاة على النبي ﷺ

١ - في الصلاة في آخر التشهد: فقد روى مسلم عن أبي مسعود قال: أقبل رجل حتى جلس بين يدي النبي ﷺ ونحن عنده فقال: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا صلى الله عليك؟ قال: " فقولوا: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم" رواه مسلم.

٢ - في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: «فقد روى الشافعي عن أبي أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم ...». الحديث

[رواه البيهقي (٣٩/٤) وصححه الألباني في أحكام الجنائز برقم (٧٩)]

٣ - بعد إجابة المؤذن: لقول رسول الله ﷺ: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي". رواه مسلم.

٤ - عند الدعاء: لقول النبي ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ».

[صحيح الجامع (٤٥٢٣)]

٥ - عند دخول المسجد والخروج منه: قال رسول الله ﷺ وليقل: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج فليسلم على النبي وليقل: «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم». [صحيح الجامع برقم ٥١٤]

٦ - عند اجتماع القوم: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم» صحيح رواه الترمذي.

٧ - عند ذكره ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يُصلِّ عليَّ». [صحيح رواه أحمد وغيره]

٨ - يوم الجمعة: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قال: قالوا: يا رسول الله؛ وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت؟ فقال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء». [صحيح سنن أبي داود]

اللهم صل على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا.

مفاهيم عقائدية

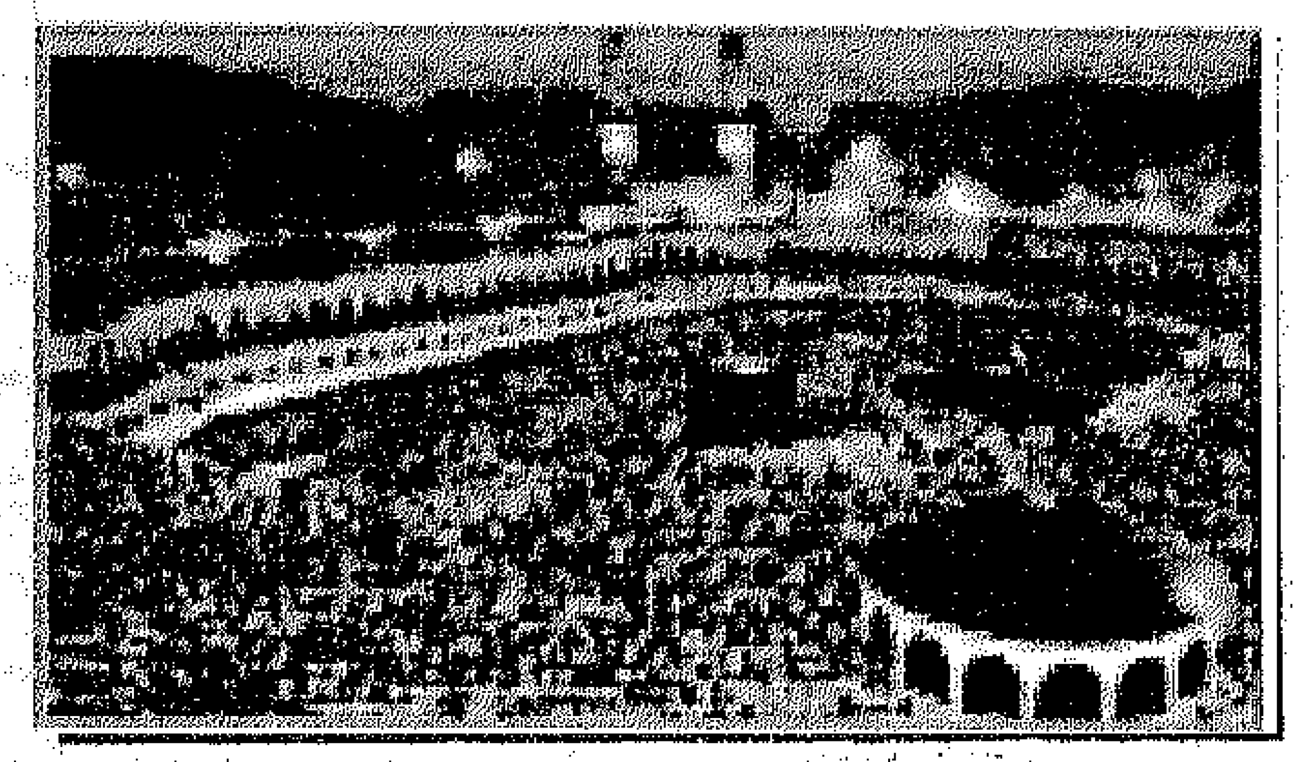
الإيمان بالرسل

بقلم / أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...

وبعد:

فإن الإيمان بالرسل ركن هام من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به وعدم الإيمان بالرسل كفر بالله العظيم.



يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا﴾ [النساء: ١٥٠]، بل إن الكفر برسول واحد من رسل الله كفرٌ بسائرهم، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، ومعلوم أن قوم نوح كذبوا بنبيهم فقط، ولكن الله عز وجل وصفهم بكفرهم بكل الرسل لتكذيبهم لنبيهم.

لذلك فإن الله أثنى على أمة النبي محمد ﷺ لإيمانهم بجميع المرسلين وعدم التفرقة بينهم، يقول سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وذم أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

فاليهود لا يؤمنون بعيسى ومحمد عليهما السلام، والنصارى لا يؤمنون بسيد البشر ﷺ.

ونتناول في هذا البحث:

١- تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

٢- عدد الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم.

٣- أنبياء ذكروا في السنة.

٤- صالحون نتوقف في أمر نبوتهم.

أولاً: تعريف النبي والرسول

١- النبي: لغة مشتق من النبأ وهو الخبر، يسمى النبي نبيًا لأنه مخبِر ومخبَر، مخبِر عن الله، ومخبَر من الله، يقول سبحانه: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، ويقول جل شأنه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [التحريم: ٤٩].

والأنبياء هم أشرف الخلق وهم الأعلام الذين يهتدي بهم الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

٢- الرسول: لغة من التوجيه، يقول سبحانه: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النحل: ٣٥]، فالرسل مبعوثون برسالة وكلفوا بحملها وتبليغها إلى من أُرسلوا إليهم.

ولا شك أن هناك فرقًا بين الرسول والنبي، وأدلة ذلك متعددة منها قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًا﴾، فجمع الله سبحانه وتعالى له بين وصفي الرسالة والنبوة.

والرسالة تشمل النبوة وليس العكس، ويذكر البعض أن النبي من أوحى الله إليه ولم يؤمر بالبلاغ، والرسول من أوحى الله إليه وأمر بالبلاغ، وهذا غير صحيح من وجوه، منها أن النبي مرسل كالرسول في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والإرسال يقتضي البلاغ من المرسل، هذا أولاً، وثانيًا: قول النبي ﷺ: «عُرض عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد» [البخاري ومسلم].

يدل هذا على أن الأنبياء، أمروا بإبلاغ وأن الاستجابة لهم تتفاوت.

ولذلك فالفرق بين النبي والرسول أن الرسول أوحي إليه بشرع والنبي يبلغ شرع من قبله.

ثانيا: من ذكر منهم في القرآن:

ذكر الله في كتابه ثمانية عشر نبيًا ورسولاً، في آية الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، ففي هذه الآيات ذكر سبحانه ثمانية عشر نبيًا، وجاء ذكر ثمانية أنبياء رسل في مواضع متفرقة: «آدم وهود وصالح وشعيب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ومحمد ﷺ».

يقول سبحانه:

١- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ...﴾ [آل عمران: ٣٣].

٢- ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠].

٣- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١].

٤- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

٥،٦،٧- ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

٨- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ [الفتح:٢٩].

ثالثا: أنبياء ذكروا في السنة

ورد في سنة النبي ﷺ أسماء بعض الأنبياء، الذين لم يذكروا في القرآن وهم:

أ- **شيث عليه السلام**، ففي صحيح ابن حبان عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

ب- يوشع بن نون:

ففي صحيح مسلم ومسند أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولما بين، ولا آخر قد بنى بنيانًا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خَلِفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبًا من ذلك. فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم أحبسا عليّ شيئًا. وفي الحديث أن الشمس لم تحبس إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس. رواه أحمد في مسنده وهو على شرط البخاري.

رابعا: صالحون نتوقف في أمر نبوتهم

ذو القرنين:

ذكر الله خبر ذي القرنين في كتابه: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ...﴾، والتوقف في أمر نبوته هو الأولى حيث ورد في مسند الحاكم وسنن البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أدري ذا القرنين نبيًا أم لا». فإن كان النبي ﷺ توقف في أمره فنحن من باب أولى نتوقف عن ذلك.

والله من وراء القصد.

مصير كيد الكافرين

من نور كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها، فإنها لا تضره». متفق عليه.

احذر التشبه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية محذرًا التشبه بأصحاب الجحيم: «إن المشابهة في الظاهر تورث نوع محبة ومودة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة».

[اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٢١]

من أمثال العرب

«كَمَا تُدِينُ تُدَانُ» أي: كما تَفْعل يُفْعَل بك، والجزاء من جنس العمل، فمن أراد الخير فعليه بفعل الخير يجد خيرًا والحمد لله، ومن ظلم وبغى ارتد عليه ظلمه وبغيه، ولا يلومن إلا نفسه.

[مجمع الأمثال ٢/١٦٨]

من وصايا السلف

قال أيوب السختياني: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم».

[مكارم الأخلاق ص١٦ لابن أبي الدنيا]

قال عبد الرحمن بن مهدي: «فليتَّق الرجل دناءة الأخلاق كما يتَّقى الحرام، فإن الكرم من الدين».

[مكارم الأخلاق ص١٢ لابن أبي الدنيا]

شناعة البدعة

قال أبو إدريس الخولاني: «لأن أرى المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها أحبُّ إليَّ من أن أرى بدعة لا أستطيع تغييرها». [ما جاء في البدع ص٨٣]

من تراث أنصار السنة المحمدية

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «ليست الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة هي الفيصل بين دين ودين أو دعوة ودعوة، فإن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة موجودة في كل دعوة وفي كل دين، وإنما الفيصل بين الأديان والدعوات وكونها حقًا وباطلاً، خيرًا أو شرًا هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخلقية».

[هذه هي الصوفية ص١٦٣]

من المبتدعات

اعلم أخي هداني الله وإياك أن بناء القباب على قبور المشايخ وعمل التوابيت وكسوتها بالأحمر والأخضر، وعمل المقاصير النحاس المفضضة والمذهبة، وتعليق القناديل والمصابيح عليها، وتنسيق الزينات على الجدران وكتابة الآيات القرآنية عليها أو اسم المقبور أو الأبيات الشعرية للإشادة بذكر الميت لا شك أنه من أهم أسباب اشتداد غضب الله على هذه الأمة، ولا ريب أن هذا من أكبر الكبائر في الإسلام، وأفحش المعاصي التي يظن كثير من الطغام والعوام والجهلة أنها من أفضل القربات.

[السنن والمبتدعات للقشيري ص١١]

فراسة

عن علي بن إسحاق بن راهويه قال: «ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين، فمضى جدي راهويه إلى الفضل بن موسى فسأله، فقال: يكون ابنك رأسًا إما في الخير، وإما في الشر».

[سير أعلام النبلاء (١١/٣٨٠)]

عجائب

قال الحاكم: حدثنا أبي، سمع الطهماني يقول: «رأيتُ بخُوارزم امرأةً لا تأكلُ ولا تشربُ، ولا تروث». [قال الذهبي: سقتُ قصتها في «تاريخ الإسلام» وهي: رحمة بنتُ إبراهيم، قُتل زوجها وترك ولدين، وكانت مسكينة، فنامت فرأت زوجها مع الشهداء، يأكل على موائد، وكانت صائمة، قالت: فاستأذنهم، وناولني كسرة أكلتُها، فوجدتها أطيب من كل شيء، فاستيقظت شبعانه. واستمرت، وهذه حكاية صحيحة، فسبحان القادر على كل شيء] [سير أعلام النبلاء (١٣/٥٧٢)]

التمكن من التربية الإسلامية

ونظر رجل إلى معاوية بن أبي سفيان وهو غلام صغير فقال: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه، فسمعَتْه أمه هند فقالت: ثكِلْتُه إذن إن لم يَسُدْ إلا قومه. [العقد الفريد ٢/١٤٦]

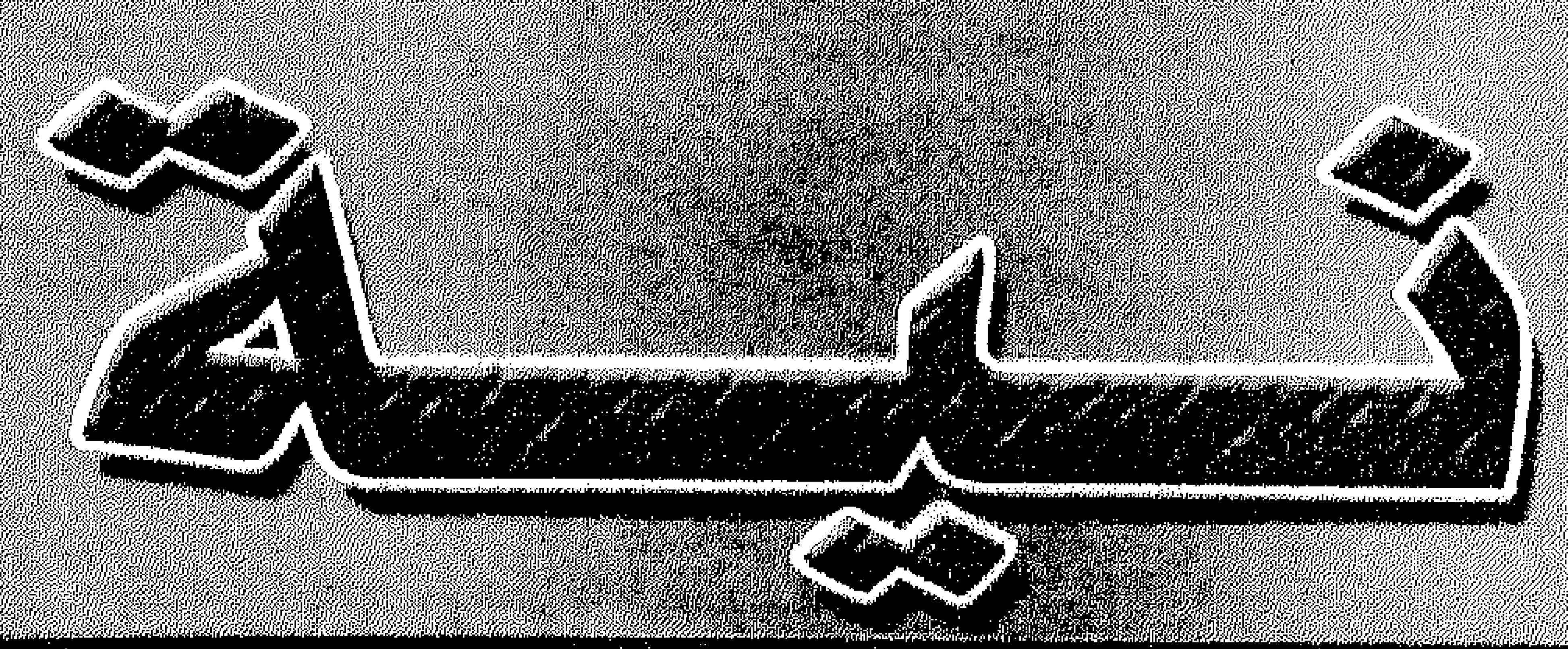
أسباب السيادة

قالوا: يسود الرجل بأربعة أشياء: بالعقل، والأدب، والعلم، والمال.

وقيل لعَرابة الأَوسيّ: بم سَوَّدَك قومُك؟ قال: بأربع خلال: انخدع لهم في مالي، وأَذِلُّ لهم في عِرْضي، ولا أحْقِر صغيرهم، ولا أحْسُد كبيرهم.

وفي عرابة الأوسيِّ يقول الشماخ بن ضِرار:

رأيتُ عَرابة الأَوْسِيَّ يسْمو
إلى الخيراتِ مُنقطع القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَت لمجدٍ
تَلقَّاها عَرابةُ باليمينِ



النية في العبادات (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

ذكرنا في الحلقة السابقة النية في مجال العبادات وما يتعلق بها من أحكام في الطهارة والوضوء والتيمم والصلاة والزكاة وفي هذه الحلقة الأخيرة نكمل الحديث عن بقية العبادات وبعض أحكام النية فيها.

النية والصيام

الإجماع منعقد على أنه لا يصح صوم الفرض أو التطوع إلا بنية، لأنه عبادة محضة، فلا يقوم بدون النية.

وإذا تعلق الصيام بفرض كصيام رمضان أداءً أو قضاءً، وصيام النذر والكفارات فإنه يجب على المسلم أن ينوي الصيام من الليل. وسند ذلك ما روي عن ابن جريج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن الزهري عن سالم عن أبيه عن حفصة عن النبي ﷺ قال: «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له» وورد في لفظ ابن حزم: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له» أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي، وروى الدارقطني بإسناده عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له» وقال: رجال إسناده كلهم ثقات.

وهذا الحديث يستلزم النية من الليل دون تخصيص، فيكفي تقديم النية على ابتداء الصيام في أي وقت من الليل دفعًا للمشقة ودرءًا لأي تحكم، ولكن لو فسخ النية، كأن نوى الفطر بعد نية الصيام فإن النية تزول حقيقة وحكمًا، ولا تجزئه النية المنسوخة.

ويختلف التطوع عن الفرض من ناحيتين:

أولهما: أن الفرض يقتضي توافر النية في جميع النهار، بحيث لا يكون الإنسان صائمًا بغير النية يبيتها الشخص قبل جميع النهار، أما صوم التطوع فيمكن الإتيان به ولو في جزء من النهار بشرط عدم تناول المفطرات في أوله.

والثانية: أن التطوع أمر يرغب فيه الإسلام، ولتكثيره فقد سومح في نيته من الليل كالمسامحة في ترك القيام في صلاة التطوع.

وإذا نوى شخص من النهار صوم الغد لم تجزئه تلك النية إلا إذا استصحب هذه النية إلى جزء من الليل، لأنه لا يجوز للإنسان أن يصوم دون نية.

وتجب النية لكل يوم، ولكن الإمام أحمد يذهب إلى أن نية واحدة تجزئ الشهر إذا نوى صوم الشهر جميعه، وبهذا قال الإمام مالك وإسحاق.

والنية قصد القلب فعل الصوم وعزمه عليه دون تردد، ويكفي لوجود نية الصوم أن يخطر بقلب الإنسان في الليل أن الغد من رمضان وأنه صائم فيه.

ويقول صاحب المغني: وأما ليلة الثلاثين من رمضان فتصح نيته (أي نية صومه) وإن احتمل أن يكون من شوال لأن الأصل بقاء رمضان. وقد أمر النبي ﷺ بصومه بقوله: «ولا تفطروا حتى تروه»، لكن إن قال: (إن كان غدًا من رمضان فانا صائم وإن كان من شوال فانا مفطر. قال ابن عقيل: لا يصح صومه، لأنه لم يجزم بنية الصيام، والنية اعتقاد جازم، ويحتمل أن يصح لأن هذا شرط واقع والأصل بقاء رمضان)(١).

وهكذا فيجب تعيين النية في كل صوم واجب، ولكن قيل إنه لو نوى أن يصوم تطوعًا ليلة الثلاثين من رمضان فوافق رمضان أجزاه، وهذا اختيار أبي القاسم، وقال أبو حفص: لا يجزئه إلا أن يعقد من الليل بلا شك.

ومن نوى الصيام من الليل، فأغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق حتى غربت الشمس لم يجزه صيام ذلك اليوم، لأنه لا يكفي النية وحدها بل يجب إضافة الإمساك إليها، فلا يجزئ أحدهما وحده، فالصوم إمساك مع النية، وذلك الشخص



إعداد/ د. محمد محمد شتا أبو سعد

وإن كان قد نوى إلا أنه كان مغمى عليه فلا يضاف الإمساك إليه وبالتالي لا يجزئه(٢).

وإن نوى المسافر الصوم في سفره، ثم بدا له أن يفطر فله ذلك، وقال الإمام مالك إنه يلزمه القضاء والكفارة، لأنه أفطر في صوم رمضان فلزمه ذلك، لأنه يعتبر في حكم من كان حاضرًا، ويقول صاحب المغني: إن هذا صوم لا يجب المضي فيه، شأن من شق عليهم الصيام مع رسول الله عام الفتح، حيث وصف من لم يفطر بأنه من العصاة.

ولا يجوز للمسافر أن يصوم في رمضان عن غيره كالنذر والقضاء لأن الفطر أبيح رخصة وتخفيفًا عن المسلم، فإذا لم يرد التخفيف عن نفسه لزمه صوم الأصل وهو رمضان.

ومن نوى الإفطار فقد أفطر، وهذا صحيح؛ لأن الصوم عبادة ومن شرط العبادة استمرار النية في جميع أجزائها، ولما كان يشق اعتبار حقيقتها، فقد اعتبر بقاء حكمها، وهو ألا ينوي الشخص قطعها، فإن نوى الإفطار فقد زالت حقيقة وحكمًا، وفسد الصوم لزوال شرطه(٣).

النية والاعتكاف

إذا نوى الشخص اعتكاف مدة لم تلزمه عند الشافعي، فإن كان قد بدأ الاعتكاف فله إتمامه أو الخروج منه حسب مشيئته، ولكن الإمام مالكًا يرى أن مدة الاعتكاف تلزمه بالنية مع الدخول في الاعتكاف، فإن قطع اعتكافه لزمه قضاؤه، وهذا هو قول جميع العلماء على ما أكده ابن عبد البر، الذي أضاف قائلا: إنه إن لم يدخل في الاعتكاف فإن قضاءه مستحب، بل إن بعض العلماء أوجبه رغم عدم الدخول فيه اعتدادًا بالنية، واحتجاجًا بما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فاستأذنته عائشة فأذن لها، فأمرت ببنائها فضرب، وسألت حفصة أن تستأذن لها رسول الله ﷺ ففعلت فأمرت ببنائها فضرب، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح دخل معتكفه، فلما صلَّى الصبح انصرف فبصر بالأبنية فقال «ما هذا؟» فقالوا بناء عائشة وحفصة وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «البر أردتن؟ ما أنا بمعتكف» فرجع، فلما أفطر اعتكف عشرًا من شوال. متفق على معناه.

ولما كان الاعتكاف عبادة تتعلق بالمسجد، فإنها تلزم بالدخول فيها، شأنها شأن الحج، ولم يقل أحد بهذا القول سوى ابن عبد البر، وما ذكره ابن عبد البر حجة عليه، فلو كان النبي ﷺ يرى الاعتكاف واجبًا لما تركه، وقد ترك أزواجه الاعتكاف بعد وفاته ﷺ، وقد تطوع النبي ﷺ بقضاء الاعتكاف دون أن يكون واجبا عليه ذلك.

ولا شك أن النية لها دور محدد في الاعتكاف، فهو لا يجب إلا لنذر (فإن نوى شخص الاعتكاف مدة لم تلزمه، فإن شرع فيها، فله إتمامها أو الخروج منها متى شاء، وقال مالك: يلزمه بالنية مع الدخول فيه فإن قطعه فعليه قضاؤه)(٤).

النية والحج والعمرة

والنية ضرورية في الحج والعمرة والذبائح الشرعية والجهاد والقرب المالية والنكاح والطلاق والرجعة والخلع والإيلاء والظهار والعدد والجنايات وتولي القضاء ووسائل إثبات الحقوق وغيرها، ولكن لحاجة العمل الملحة فإننا سنكتفي بالتعرض لاحقًا بشيء من التفصيل للنية في عقود المعاملات المالية.

وحاصل خصائص النية التي تنبني عليها أحكام العقيدة والعبادات والمعاملات والتي يتعين على مدعي الولاية والتصوف مراعاتها كأهل السنة والجماعة: أن النية محلها القلب فلا يجوز من حيث المبدأ التلفظ بها، ولذا لم ينقل عن الإمام مالك رحمه الله شيء في ضرورة التلفظ بها بل نقل عنه قوله: (تحريم الصلاة التكبير وتحليلها -

التسليم)(٥)، والأولى عند المالكية ترك التلفظ بالنية عن الصلاة أو غيرها(٦)، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أتقول شيئًا قبل التكبير؟ قال: لا، إذ لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد أصحابه(٧). وفي الإقناع وشرحه أن التلفظ بالنية في الوضوء والغسل وسائر العبادات بدعة(٨).

والجهر بالنية بدعة مردودة، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٩)، ولكن صرح فقهاء المذاهب الأربعة في معظم مؤلفاتهم باستحباب التلفظ عند الإحرام بالنسك، حجًا كان أو عمرة، مثل قول الحاج: (اللهم إني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني)(١٠) والحق أن النبي ﷺ لم يتلفظ بالنية عند الحج والعمرة بل أهلَّ، وعلى ذلك فلا هدي إلا هدي رسول الله ﷺ، وليس هناك دليل على مشروعية التلفظ بالنية، ففي حديث جابر الطويل في صفة حج النبي ﷺ قال جابر: فأهلَّ النبي ﷺ بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»(١١).

ويجوز تقديم النية على العمل بزمن يسير عرفًا، منعًا للمشقة والحرج، أما مقارنة النية للعمل فهو قول عامة أهل العلم من المذاهب الأربعة، وأما تأخير النية عن أول العمل فلا يجوز باستثناء نية صوم النفل، ولكن مقارنة النية للمنوي ليس كافيًا لتحقق النية، ذلك أن النية لا بد أن تتعلق بأمر يخص الناوي لا غيره، وأن يكون الأمر المنوي معها معلوم الوجوب، أي الوقوع، أو مظنون الوقوع وليس مشكوكًا فيه. وقد قال ابن رشد: إنه يجب في الناوي، أن يكون مسلمًا، مميزًا، عالمًا بما نوى، غير مقارف لفعل مناف لما نواه، فضلا عن مقارنة النية للمنوي بأمر يخص الناوي وبأمر متيقن أو بظن غالب(١٢).

أما استصحاب النية، فالحاصل فيه أنه إذا كان استصحاب ذكر النية مستحبًا فإن استصحاب حكمها واجب، وذلك بألا ينوي قطع نية العبادة التي نواها، ولا يأتي بمناف يتنافى مع العبادة المنوية، وعليه أن يستصحب حكمها ثم لا يضر عزوب نيتها عن باله(١٣).

ولا يصح تحويل النية أو قلبها من نية فرض إلى نية فرض آخر، إذ بانقطاع الأولى تنتهي ولا تكون للصلاة الثانية - مثلا - نية. كما لا يصح التحول من نية نفل إلى نية نفل آخر، ولا قلب نية نفل إلى نية فرض، ولكن يجوز قلب نية الفرض إلى نفل لثبوت عدم دخول الوقت مثلا، أو لوجود مصلحة، كأن كان قد أحرم منفردًا ثم حضرت جماعة، وكذلك تحول الشخص من كونه إمامًا إلى مأموم وبالعكس(١٤)، وإذا شك الإنسان في إنشاء النية ولم يحصل له يقين يزيل الشك، فعليه استئناف الصلاة، وإن شك في تعيين النية وهل نوى فرضًا أم نفلا فإن استمر معه الشك أتمّ العبادة نفلا(١٥).

---

(١) المغني ج٣ ص٩٤. (٢) المغني ج٣ ص٩٨. (٣) المغني ج٣ ص١١٩. (٤) انظر التفاصيل في المغني، ج٣ ص١٨٤ وما بعدها.
(٥) المدونة ج١ ص٦٥، ٦٦. (٦) أقرب المسالك ج١ ص٣٠٤. (٧) كشاف القناع ج١ ص٣٢٨. (٨) المرجع السابق ص٨٧.
(٩) البخاري ج٣ ص١٦٧، ومسلم ج٣ ص١٣٤٣.
(١٠) في الفقه الحنفي: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للنسفي ج٢ ص٩، وفي الفقه الحنبلي انظر الكافي لابن قدامة ج١ ص٥٣٠، وفي اشتراط القول كالتلبية دون مجرد النية انظر في الفقه المالكي: الشرح الصغير ج٢ ص١٦ وانظر عند الشافعية: النووي، المجموع على المهذب ج٧ ص٢٢٧.
(١١) صحيح مسلم ج٢ ص٨٨٧، وانظر رسالة الدكتور صالح بن غانم السدلان ج١ ص٣٣٥. أما التلفظ بالنية عند ذبح النسك فهو سُنَّة وليس واجبًا لأن محل النية هو القلب علي ما اتفق عليه أهل العلم.
(١٢) مقدمات ابن رشد ج١ ص٤٠.
(١٣) رسالة د. صالح بن غانم السدلان، ج١ ص٣٧٨. وهذا يستلزم إعادة ما فعله من العبادة عدا الوضوء.
(١٤) المغني (١/١٠٢) والمقنع (١٣٦) المهذب (١/٧٠) الأشباه والنظائر للسيوطي (٣٨).
(١٥) تفاصيل أخرى في المقنع (١٣٥)، المغني (١/٤٦٧).



إعداد / صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام... وبعد: فنكمل ما بدأناه بحول الله وقوته عن وسائل الأمن يوم تشيب رؤوس الولدان في الآخرة، وذكرنا بعضًا منها قبل ذلك، وكان مما ذكرناه تحقيق التوحيد لله عز وجل، والإخلاص، والإحسان إلى الناس، وتقوى الله عز وجل.

ثامنًا: إقامة الصلاة

المقصود بإقامة الصلاة: إقامتها ظاهرًا بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنًا بحضور القلب فيها وتدبر ما يقوله المصلي ويفعله منها وهي التي يترتب عليها الثواب فلا ثواب للمسلم من صلاته إلا ما عقل منها ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها. [تفسير السعدي: ٤١/١]

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا قام يصلي أُتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

[السلسلة الصحيحة (١٣٩٨)]

قال الإمام المناوي: إنه كلما أتم ركنًا سقط عنه ركن من الذنوب حتى إذا أتمها تكامل السقوط، وهذه في الصلاة متوافرة الشروط والأركان والخشوع، كما يُؤْذِن به لفظ العبد والقيام، إذ هو إشارة إلى أنه في مقام عبد ذليل بين يدي ملك الملوك.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا انتقل وهو كيوم ولدته أمه». [صحيح الجامع ٥٧٥٦]

ومعنى يسبغ الوضوء: أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون.

والحديث دال على أن الذي يتم الوضوء ويقيم الصلاة فيعلم ما يقول خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. قال العلامة السعدي في تفسيره: إذا انتفى الخوف والحزن حصل ضدهما وهو الأمن التام. اهـ.

فمن أقام الصلاة حصل له الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (وذكر منهم) رجل قلبه معلق بالمساجد...» الحديث. في هذا الحديث شبه النبي ﷺ قلب هذا الرجل كأنه معلق في المسجد، دل ذلك على شدة التعلق بالمسجد والصلاة فكان الجزاء أن يظله الله بظل عرشه يوم الحر الشديد.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى في المسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقًا من النار».

[أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني (٧٩٨)]

فسابقوا إلى مغفرة من ربكم وحافظوا على التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة أربعين ليلة متواصلة تعتق رقابكم من النار، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثة الفردوس آخرًا.

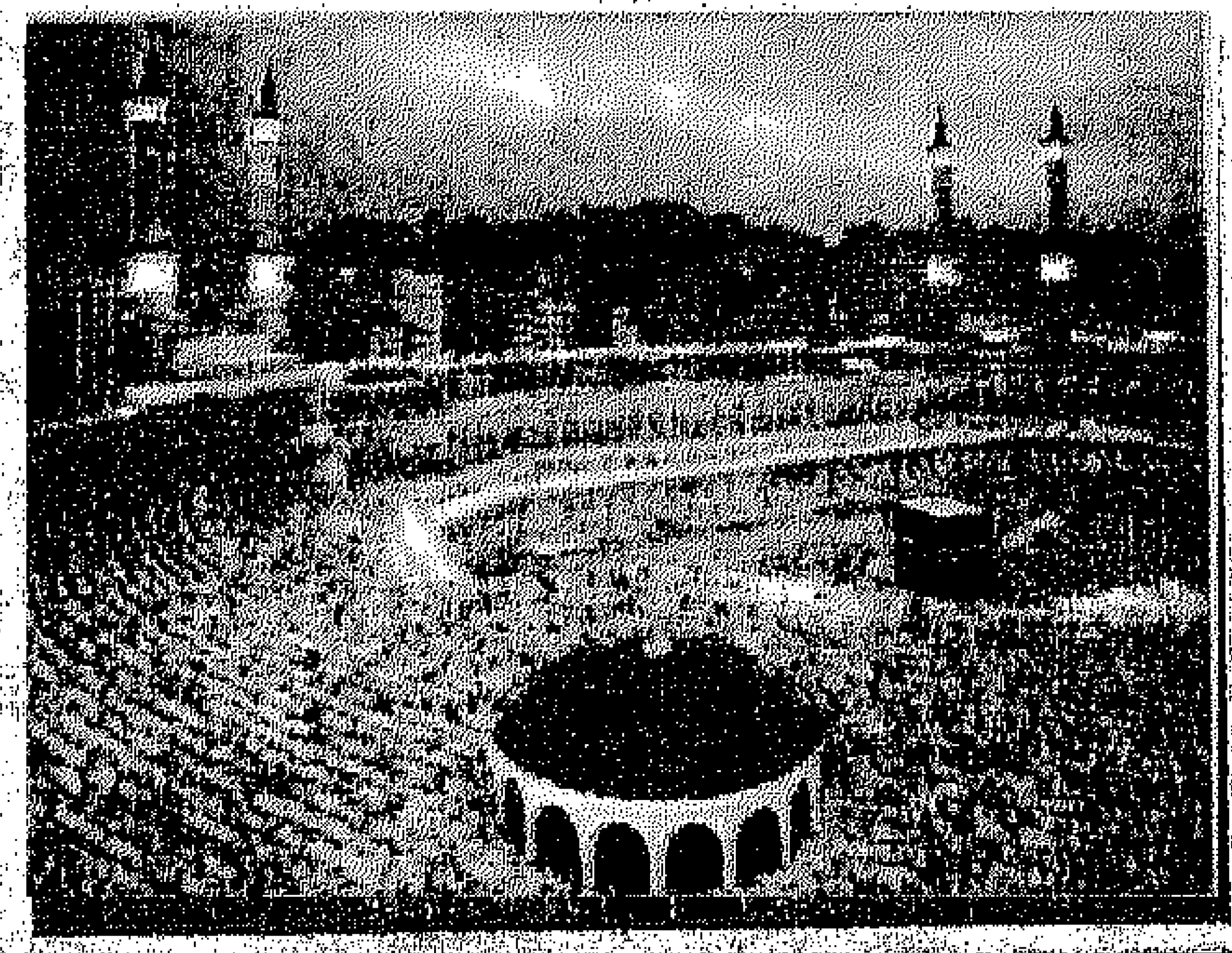
فهيا بنا نتسابق إلى الفردوس الأعلى من الجنة بإقامة الصلاة والحرص على صلاة الجماعة والصفوف الأولى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

مفاتيح الخير

الحلقة الأولى

الحمد لله الحليم العظيم الكريم، يفتحُ على مَن يشاء من عباده بالحقّ وهو الفتاح العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، آتاه الله فواتح الخير وجوامعه وخواتمه، ووصفه بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:



فإنَّ من أنفع أبواب العلم وأكثرها خيرًا وعائدةً على المسلم معرفة مفاتيح الخير من مفاتيح الشرّ، ومعرفة ما يحصل به النفع مما يحصل به الضر، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه، وجعل لكل شرّ مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه، وما من مطلوب إلا وله مفتاح به يُفتح.

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣- ٧٤].

فالجنَّة لها أبواب مفتاحها التوحيد والصلاة والصيام والبرُّ والإحسان وغير ذلك من الطاعات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومَن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة. قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم». [البخاري]

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يُسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون». [البخاري ٣٢٥٧]

وأول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد ﷺ، روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتحُ فيقول الخازنُ: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك». [مسلم ١٩٧]

وروى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولُ شفيع في الجنة». وفي لفظ له: «وأنا أول من يقرع باب الجنة». [مسلم ١٩٦]

قال ابن القيم رحمه الله: وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهارة». [صحيح الجامع ٥٨٨٥]. ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البّر الصدق،

ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كلّ خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شرّ حب الدنيا وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه.

[الجواب الكافي ص١٠٠]

وقد ورد عن السلف رحمهم الله في هذا المعنى جملة من الآثار أذكر منها ما يلي:

قال عون بن عبد الله: «اهتمامُ العبد بذنبه داعٍ إلى تركه، وندمُهُ عليه مفتاحُ للتوبة، ولا يزالُ العبدُ يهتم بالذنب يصيبه حتى يكون أنفع له من بعض حسناته». [رواه أبو نعيم في الحلية ٢٥١/٤]

وقال سفيان بن عيينة: «التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكّر فيتوب»

[رواه أبو الشيخ في العظمة رقم ٣٩]

وقال وهب: «الصمتُ فهم للفكرة، والفكرة مفتاح للمنطق، والقول بالحق دليل على الجنة».

[رواه أبو الشيخ في العظمة رقم ٥٥]

وقال محمد بن علي لابنه: «يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق». [رواه أبو نعيم في الحلية ١٨٣/٣]

وقال الحسن: «مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء».

[تفسير القرطبي ٥٣/١٤]

إعداد

أ.د/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

وقال سهل بن عبد الله: «ترك الهوى مفتاح الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]

وقال سفيان: «كان يُقال: طولُ الصمت مفتاحُ العبادة». [رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ١٣٦]

وقال شيخ الإسلام: «فالصدق مفتاح كلّ خير، كما أن الكذب مفتاح كل شر».

[الاستقامة ٤٦٧/١]

وقال رحمه الله: «الدعاء مفتاح كل خير».

[مجموع الفتاوى ٦٦١/١٠]

وكما أن لكل باب من أبواب الخير مفتاحًا، فإن الشر كذلك لكل باب منه مفتاح، وقد ثبت عن النبي ﷺ في شأن الخمر أنه مفتاح كل شر، ففي سنن ابن ماجه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر».

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كلّ إثم، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشحّ والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلالة، وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقلٌ يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جُعلت المفاتيح له، والله الهادي إلى سواء السبيل، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون».

والحمد لله رب العالمين

ماذا يحب الله

معالي الأمور وأشرافها

قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يحب معالي الأمور ، وأشرافها» [صحيح الجامع رقم ١٨٩٠].

معالي الأمور وأشرافها : يأتي في مقدمتها الأمور الدينية وهي كل أمْر أمَرَ الله به في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ ، ومن ذلك : أركان الإسلام الخمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، صوم رمضان ، الحج . ومنها النوافل : كالسنن القبلية والبعدية وقيام الليل وصلاة الضحى وغيرها . وذكر الله والصدقة .

وكذلك الأخلاق الشرعية والخصال الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب المعاملة بين الناس ، وآداب اللسان، قال الله تعالى : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] .

فمنْ اتصف منْ عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ، وشَرَفُ النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك ، إن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ تزكو نفسه إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني ، قال بعض الحكماء : بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب والمصفاة من الأدناس ، وبالأفكار يصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال .

والإنسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز ، فمن صرف همته إلى اكتساب معالي الأخلاق وأشرافها أحبه الله تعالى، فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه.

ومما يكره الله

يكره الله سفساف الأمور

بقلم / عدنان الطرشة

قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفسافها» [صحيح الجامع رقم ١٨٩٠].

سفساف الأمور: ويأتي في مقدمتها الأمور الدينية وهي كل نهي نهى الله تعالى عنه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن ذلك: الكفر والشرك والنفاق.

وكذلك الفحش والتفحش والطيش والبذاءة والمراء والجدال والغيبة والنميمة والقيل والقال وكثرة السؤال والثرثرة وإخلاف الوعد والجهل والظلم والشهوة والغضب والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءة والكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه والخسة واللؤم والذل والحرص.

إن الإنسان يضارع البهيمة بالشهوة والدناءة، فمن صرف همته إلى السفساف من الأمور ورذائل الأخلاق التحق بالبهائم فيصير إما ضاريًا ككلب، أو شرهًا كخنزير، أو حقودًا كجمل، أو متكبرًا كنمر، أو رواغًا كثعلب، أو عابثًا كقرد، أو جامعًا لذلك كشيطان.

الإمام العالم
أبو شهاب الزهري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام.

صفته: قال يعقوب بن عبد الرحمن: رأيته رجلاً قصيرا قليل اللحية له شعيرات طوال خفيف العارضين.

قال ابن عيينة: رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية في حمرتها انكفاء كأنه يجعل فيها كتما وكان أعيمش وله جمة.

مولده: ولد سنة ست وخمسين، وقيل: سنة خمسين أو إحدى وخمسين.

شيوخه: سمع من ابن عمر حديثين، وقيل ثلاثة أحاديث. وروى عن أنس بن مالك ولقيه بدمشق، وروى عن سهل بن سعد والسائب بن يزيد ومحمود بن الربيع وأبي الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب وجالسه ثماني سنوات وتفقه به، وعلقمة بن وقاص وعروة بن الزبير وأبي إدريس الخولاني وسالم بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وخارجة بن زيد بن ثابت، وغيرهم كثير.

الرواة عنه: روى عنه عطاء بن أبي رباح وهو أكبر منه، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، وقتادة بن دعامة، وزيد بن أسلم، وأيوب السختياني، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو الزناد، وابن جريج، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وابن أبي ذئب، وابن إسحاق، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه: قال الليث بن سعد: ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الترغيب فنقول لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثًا.

قال سفيان بن عيينة: كان الزهري أعلم أهل المدينة.

قال عمر بن عبد العزيز: ما ساق الحديث أحدٌ مثل الزهري.

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا أنص للحديث من الزهري- يعني يرويه بنصه- وما رأيت أحدًا أهون عن الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر.

قال أحمد بن حنبل: الزهري أحسن الناس حديثًا وأجود الناس إسنادًا.

قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري.

قال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب. قال مكحول: ما بقي أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب.

قال أيوب: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري، فقال له صخر بن جويرية ولا الحسن البصري؟ فقال: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري.

قال سعيد بن عبد العزيز: ما كان إلا بحرًا.

قال شعيب بن أبي حمزة: قيل لمكحول: من أعلم من لقيت؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب.

قال مالك: بقي ابن شهاب وما له في الناس نظير.

قال ابن المديني: أفتى أربعة: الحكم وحماد وقتادة والزهري، والزهري عندهم أفقههم.

قيل لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهًا وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثًا فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحرًا إلا فجرته وأعلمهم عندي جميعًا ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعًا إلى علمه.

قال مالك: إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول قال فلان، قال رسول الله ﷺ وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينًا فما أخذت منهم شيئًا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ويقدم علينا الزهري فنزدحم على بابه.

قال ابن سعد: كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهًا جامعًا.

قال قائد بن أكرم يمدح الزهري:

ذَرْ ذا واثنِ على الكريم محمدٍ
واذكر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بماله
قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه
ولربيع ناديه على الأعراب

من أحواله وأقواله:

قال ابن أخي الزهري: جمع عمي القرآن في ثمانين ليلة.

قال ابن شهاب: كنت أخدم عبد الله بن عبد الله حتى إن كنت أستقي له الماء المالح، وكان يقول لجاريته: من بالباب فتقول: غلامك الأعمش.

قال سعد بن إبراهيم: ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشيء إلا أن كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد وكنا تمنعنا الحداثة.

قال أبو الزناد: كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس وبصر عيني به ومعه ألواح أو صحف يكتب فيها الحديث وهو يتعلم يومئذ.

قال الليث: كان ابن شهاب يقول: ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر وكان يشرب العسل ويقول: إنه يذكر.

قال صالح بن كيسان: كنت أطلب العلم أنا والزهري فقال: تعال نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت.

قال الزهري: ما قلت لأحد قط أعد عليَّ.

قال الليث: تذكر ابن شهاب ليلة بعد العشاء حديثًا وهو جالس يتوضأ فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح.

قال يعقوب بن عبد الرحمن: إن الزهري كان يبتغي العلم من عروة وغيره. فيأتي جارية له وهي نائمة فيوقظها يقول لها: حدثني فلان بكذا وحدثني فلان بكذا، فتقول: ما لي ولهذا، فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعي به ولكن سمعت الآن فأردت أن أستذكره.

قال الوليد بن مسلم: خرج الزهري من عند عبد

الملك فجلس عند ذلك العمود، فقال: يا أيها الناس، إنا كنا قد منعناكم شيئًا قد بذلناه لهؤلاء فتعالوا حتى أحدثكم فسمعهم يقولون: قال رسول الله ﷺ، فقال: يا أهل الشام ما لي أرى أحاديثكم ليست لها أَزِمَّة ولا خُطُم؟ (أزمة جمع زمام وخُطُم جمع خطام وهو ما يجعل في رأس الدابة لتقاد به) قال الوليد: فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ.

قال الزهري: الاعتصام بالسنة نجاة. وقال: أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت.

قلت: يعني أحاديث الصفات من غير تأويل ولا تعطيل، وقال: إنما يُذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

قال مالك: كان ابن شهاب من أسخى الناس فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه: قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر ماذا تكون، قال: إن الكريم لا تحنكه التجارب.

قال الزهري: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر.

قلت: على سبيل الترويح من أن تحل النفس والأذن من سماع الحديث.

قال الزهري: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب.

وقال: لا يُرضِي الناس قول عالم لا يعمل ولا عمل عامل لا يعلم.

عن معاوية بن صالح أن أبا جبلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر فصام يوم عاشوراء فقيل له: لم تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر وإن عاشوراء يفوت.

وقال أيضًا: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد ولم يؤمن بالقدر كان ذلك ناقضًا توحيده.

قلت: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان وهو أن الله عز وجل علم فكتب فشاء فخلق ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

قال الزهري: ما استعدت حديثًا قط وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت.

قال معمر: سمعت الزهري يقول: يا أهل العراق يخرج الحديث من عندنا شبرًا ويصير عندكم ذراعًا. قلت: يعني ينكر عليهم الزيادة في الحديث وهو اتهام لهم.

قال ابن عيينة: حدث الزهري يومًا بحديث، فقلت له: هات بلا إسناد، قال: أترقي السطح بلا سلم، قلت: يعني بالإسناد يرتقي الإنسان إلى المتن ولولاه لما صعد الإنسان ووصل إلى الحديث، والإسناد من خصائص أمة الإسلام.

قال السيوطي في ألفيته:

أول جامع الحديث والأثر
ابن شهاب آمرًا له عمر

فائدة: قال يحيى بن سعيد القطان مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ وكل ما قدر أن يُسمِّي سمَّى وإنما يترك من لا يحب.

قال الذهبي: مراسيل الزهري كالمعضل لأنه يكون قد سقط منه اثنان ولا يسوغ أن تظن أنه أسقط الصحابي فقط ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله ولو أنه يقول: عن بعض أصحاب النبي ﷺ ومن ظن مرسل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما فإنه لم يدر ما يقول، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه.

قال أبو حاتم: حدثنا أحمد بن أبي شريح سمعت الشافعي يقول: إرسال الزهري ليس بشيء لأنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم.

وفاته: مات سنة ثلاث أو أربع أو خمس وعشرين ومائة.

المراجع:

- سير أعلام النبلاء. - تهذيب التهذيب.
- تقريب التهذيب.



عقيدة أهل الإسلام في المسيح عليه السلام

بقلم / صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يعتصر القلب ألمًا وأسفًا على كثير من المسلمين الذين صاروا يأخذون دينهم وعقائدهم من الإعلام، والذي يكون موجهًا في الغالب توجيها غير سليم.

وتعجب أشد العجب من كثير من المسلمين يدفعهم الفضول إلى السقوط في الهاوية، هاوية الانحراف في العقيدة بعد انتشار ذلكم الفيلم التنصيري الذي يدور حول قصة نبي من أنبياء الله المسيح عيسى عليه السلام.

ولأن الأفلام ليست مصدرًا يوثق به في معرفة العقائد وقصص الأنبياء رأينا أن نثبت العقيدة الإسلامية الصحيحة ونؤكدها في قلوب أهل الإسلام في المسيح عليه السلام من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

فالمسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وأول ما تكلم به وهو في المهد: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠].

فالمسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله إن لي ولدًا وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحدًا، أما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته». [صححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٢٣]

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٦].

ومن اعتقد أن المسيح ابن مريم هو الله فقد كفر: قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧].

ومن قال إن الله تعالى ثالث ثلاثة: «الأب والابن والروح القدس» فقد كفر: قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

والقرآن الكريم ينصح أصحاب عقيدة التثليث فيقول لهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١].

عقيدتنا في قضية صلب المسيح وقتله

نحن نعتقد أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والمراد بالوفاة هنا النوم، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من نومه: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور». [رواه البخاري].

فالوفاة تطلق أحيانًا على النوم، وهذا الذي حدث مع عيسى ﷺ.

فمن اعتقد أن المسيح قد صُلب يكفر لأنه تكذيب لصريح القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

والله من وراء القصد.



أطفال المسلمين: كيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

وبعد:

كان ما مضى من حلقات في بيان التربية التي ربّى عليها رسول الله ﷺ النشء المسلم في مراحل العمر المختلفة- حتى البلوغ، والآن وبعد بلوغ الأطفال نود أن نتحدث عن تلك الفترة التي تلي البلوغ والتي هي بعنوان:

من وصايا لقمان في تربية الولدان

تعريف بلقمان: لقمان رجل آتاه الله الحكمة، كما قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] منها العلم والديانة والإصابة في القول، وحِكَمُهُ كثيرة مأثورة، كان يُفتي قبل بعثة داود عليه السلام، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا اكتفي إذا كُفيت؟. وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا(١).

وقال مجاهد: كان لقمان الحكيم عبدًا حبشيًا غليظ الشفتين مشقق القدمين، أتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم فقال له: ألست الذي كنت ترعى الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني.

وعن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال مولاه: أمرتك أن تُخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تُخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما. فقال لقمان: إنه ليس أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. [تفسير ابن كثير، سورة لقمان].

وقال القرطبي: قيل إنه ابن أخت أيوب أو ابن خالته، رأى رجلاً ينظر إليه فقال: إن كنتَ تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنتَ تراني أسود فقلبي أبيض.

والآن مع وصايا لقمان

الوصية الأولى: البناء العقدي للطفل وتصحيح العقيدة

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف. ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال له محذرًا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي هذا أعظم الظلم، قال البخاري: عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون لم يلبسوا

إيمانهم بظلم: بشرك، أولَمَ تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»(٢).

فالظلم هنا بمعنى الشرك، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك. ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده؛ البر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وكثيرًا ما قرن الله تعالى بين ذلك في القرآن الكريم.

الوصية الثانية:

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

قال ابن كثير: ولو كانت تلك الذرَّة (من العمل) مُحصَّنة محجَّبة في داخل صخرة صمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات والأرض، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقَّت ولطفت، «خبير» بدبيب النمل في الليل البهيم.

وقال القرطبي: رُوِيَ أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة التي تقع في سِفْل البحر أيعلمها الله؟ فراجعه لقمان بهذه الآية: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ...﴾ [لقمان: ١٦].

بقلم / جمال عبد الرحمن

الوصية الثالثة: بناء الطفل عباديا وتهذيب نفسه

لا زال لقمان يوجه ولده فيقول: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال ابن كثير: أقم الصلاة، أي بحدودها وفروضها وأوقاتها، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر بحسب طاقتك وجهدك، واصبر على ما أصابك، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر. وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] أي الصبر على أذى الناس من عزم الأمور.

وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عز وجل وهذا قول حسن لأنه يعُم. قال القرطبي: والظاهر والله أعلم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يشير إلى إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى والبلاء وكلها من عزم الأمور.

الوصية الرابعة: بناء الطفل أخلاقيا

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

الصَّعْر: الميل، وأصله داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تفلت أعناقها من

رءوسها. فشبَّه به الرجل المتكبر، قال ابن كثير: لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتُعرض عنهم بوجهك إذا كلَّموك.

والصَّعَّار هو المتكبر لأنه يميل بخده ويُعرض عن الناس بوجهه(٣). ومعنى الآية عند القرطبي: ولا تُمِل خدَّك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا بنفسك واحتقارًا لهم، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة... فالمعنى أقبل عليهم مؤنسًا مستأنسًا، وإذا حدَّثك أصغرهم فأصغ إليه حتى يكمل حديثه، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل. ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾: قال القرطبي: وهو النشاط والمشي فرحًا في غير شغل وفي غير حاجة، وأهل هذا الخُلُق ملازمون للفخر والخُيلاء، فالمرِح مختال في مشيته، والفخور هو الذي يعدد ما أُعطيَ ولا يشكر الله تعالى، قاله مجاهد.

الوصية الخامسة: مزيد من البناء الأخلاقي:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

قال القرطبي: لمَّا نهاه عن الخُلُق الذميم رسم له الخُلُق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي توسَّطْ فيه، والقصد: ما بين الإسراع والبطء، ورُوي عن النبي ﷺ: «سرعة المشي تُذهب بهاء المؤمن»(٤). فأما ما رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا مشى أسرع؛ وقول عائشة في عمر رضي الله عنه: أنه رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت، والله أعلم، وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته حسبما تقدَّم بيانه في الفرقان. اهـ.

قلتُ: يقصد قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ قال القرطبي: أي انقص منه، أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلُّف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر رضي الله عنه لمؤذن تكلَّف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيتُ أن ينشق مريطاؤك (ما بين السُّرة إلى العانة) والمؤذن هو أبو محذورة، سمرة بن معير.

﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قال القرطبي: أي أقبحها وأوحشها، وقال: والحمار مَثَلٌ في الذَّمِّ البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه، وفي الآية دليل على تعريف قُبْح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقُبح أصوات الحمير، لأنها عالية، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنه رأى شيطانًا»(٥). وقد رُوِيَ أنه ما صاح حمار ولا نبح كلب إلا أنْ يرى شيطانًا. وقال سفيان الثوري: صُياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمار. اهـ.

قال ابن كثير: وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمَّهُ غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال: «ليس لنا مَثَلُ السَّوْء»(٦). اهـ.

الهوامش:

(١) تفسير الجلالين: سورة لقمان:١٢.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٣١١٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ٧٠.

(٤) حديث منكر . «السلسلة الضعيفة» ج١/ص١٣٢.

(٥) صحيح الترمذي للألباني (٣٤٥٩).

(٦) البخاري، كتاب الهبة ح٢٤٢٩. والترمذي كتاب البيوع ح١٢١٩ وغيره.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

أبو إسحاق الحويني

يسأل: مسعود محمد الفار- سوهاج- عن درجة هذين الحديثين:

١- أولياء علي بن أبي طالب في الجنة، ومبغضوه في النار.

٢- إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

الجواب: أما حديث: «أولياء علي بن أبي طالب...» فهو حديث باطل. ولم أقف عليه بهذا اللفظ، ووقفت عليه بلفظ: «عليٌّ قسيمُ النار، يدخلُ أولياؤه الجنة، وأعداؤه النار». أخرجه الدارقطني في «العلل» (٢٧٣/٦)، قال: حدثنا الشافعي أبو بكر، قال: ثنا محمد بن عمر القبلي، قال: ثنا محمد بن هاشم الثقفي، ثنا عبيدالله بن موسى، ثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال النبي ﷺ فذكره.

قال الدارقطني: «وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد، ومن دون عبيد الله ضعفاء، والقبلي ضعيف جدًا، وإنما روى هذا الحديث: الأعمش، عن موسى بن طريف، عن عباية، عن علي». انتهى.

قلت: وحديث الأعمش هذا أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٧٦٤/٢) قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن موسى بن طريف، عن علي قال: «أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي».

قال الفسوي: سمعت الحسن بن الربيع يقول: قال أبو معاوية: قلنا للأعمش: لا تُحدث بهذه الأحاديث. قال: يسألونني فما أصنع؟ ربما سهوت، فإذا سألوني عن شيء من هذا فسهوت فذكروني، قال: فكنت عنده يومًا، فجاء رجل فسأله عن حديث: «أنا قسيم النار»، قال: فتنحنحت. قال: فقال الأعمش: هؤلاء المرجئة لا يدعون أحدًا يحدِّث بفضائل علي، أخرجوهم من المسجد حتى أحدثكم.

وروى هذا الأثر العقيلي في «الضعفاء» (١٥٨/٤) من طريق سلام الخياط، عن موسى بن طريف بهذا الإسناد، ونقل عن عبدالله بن داود الخريبي، قال: كنا عند الأعمش، فجاء يومًا وهو مغضب، فقال: ألا تعجبون من موسى بن طريف يحدِّث عن عباية، عن علي رضي الله عنه قال: أنا قسيم النار. وروى أيضًا عن أبي بكر بن عياش، روى عن موسى بن طريف أنه كان يروي مثل هذا الكلام يسخر به ممن يعتقده. فهذا يدل على قلة مبالاة، وموسى ابن طريف أحد الهلكى، وكذبه بعض النقاد، ولا يثبت هذا الكلام لا مرفوعًا ولا موقوفًا، وقبَّح الله المفترين.

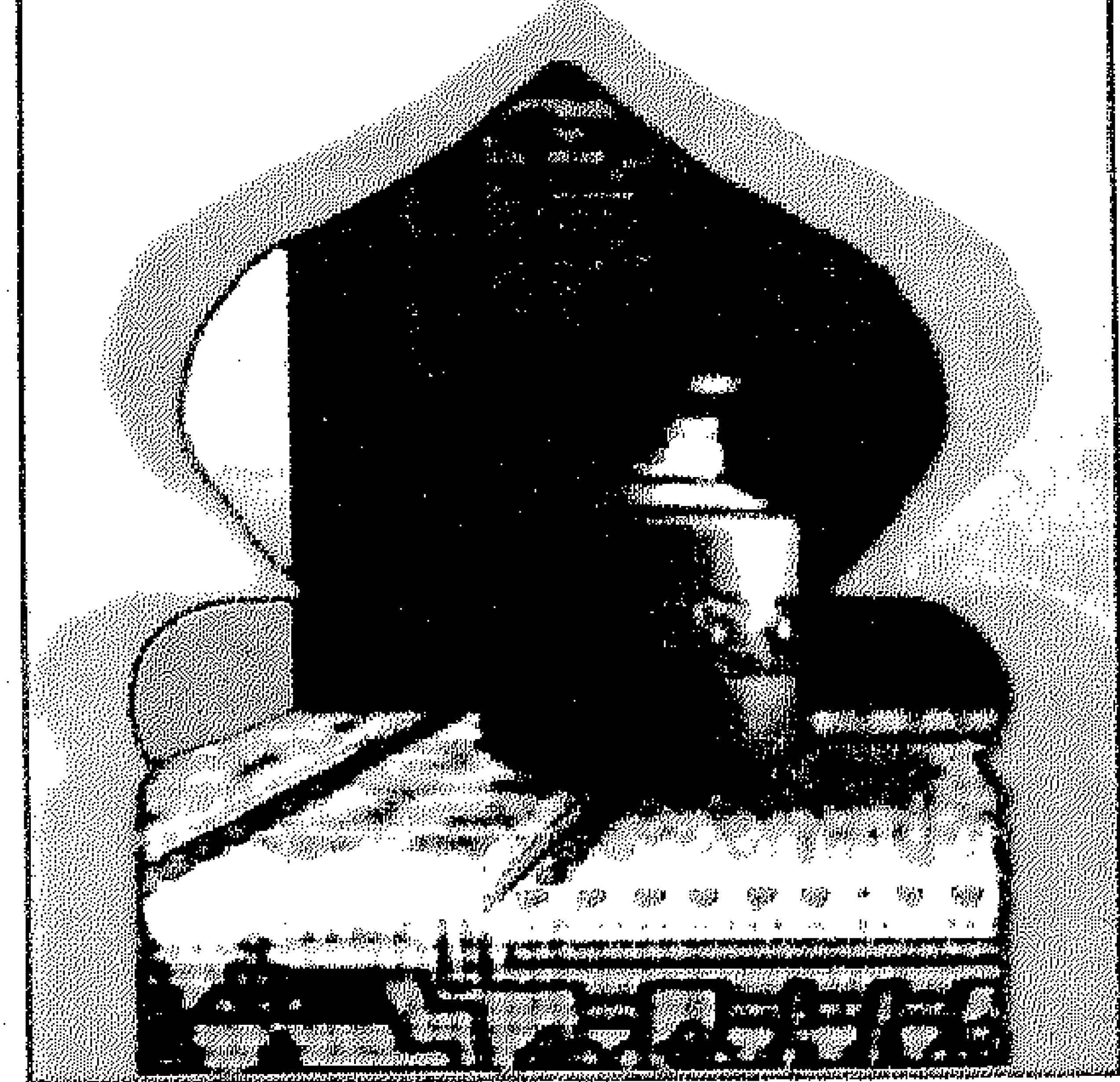
أما حديث: «إن الله فرض فرائض لا تضيِّعوها» فهو حديث ضعيف. أخرجه الدارقطني (١١٨٣/٤- ١٨٤)، والطبراني في «الكبير» (ح٢٢/ رقم ٥٨٩، ٢٢١، ٢٢٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٠٠)، والبيهقي (١٢/١٠- ١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧/٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٣٠) من طرقٍ عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا فذكره. وهذا الحديث حسنه النووي في «الأربعين» (ص٤٠)، وفي «رياض الصالحين» (ص٥٤٤)، وفي «الأذكار» (ص٣٥٣) وسبقه إلى هذا الحكم أبو بكر السمعاني في «الأمالي» كما ذكره ابن رجب في «جامع العلوم» (ص٢٤٢)، وذكر شيخنا الألباني رحمه الله في «غاية المرام» (ص١٨) أن أبا الفتوح الطائي خرَّجه في «الأربعين» وقال: «حديثٌ كبيرٌ حسنٌ، تفرد به داود عن مكحول».

قُلْتُ: وهذا الحكمُ ليس بصوابٍ، لأن مكحولاً لم يسمع من أبي ثعلبة، وهو كثير الإرسال، فيخشى من ذلك، وهذه علة لا سبيل إلى جبرها، وذكر الدارقطني في «العلل» (٣٢٤/٦) أنه اختلف على مكحول في رفعه ووقفه، فرفعه إسحاق الأزرق ومحمد بن فضيل وغيرهما عن داود. ورواه يزيد بن هارون وحفص بن غياث عن داود فوقفاه. ورواه حفص عند البيهقي (١٢/١٠)، ورواه قحذم بن سليمان قال: سمعت مكحولاً يقول: ولم يتجاوز به. ورجح الدارقطني الطريق المرفوع وقال: «هو أشهر» وقد مرَّ بك ما أُعِلَّ به.

وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٤٦١) قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الوشاء. وأخرجه أيضًا في «الصغير» (١١١١) قال: حدثنا نوح الأبُلِّي قالا: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام نا أصرمُ ابنُ حوشبٍ، نا قرَّةُ بنُ خالدٍ، عن الضحاك بن مزاحم، عن طاووس، قال: سمعتُ أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ فذكر مثله.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن قرة بن خالد، إلا أصرمُ بنُ حوشب، تفرد به: أبو الأشعث». وأصرم هذا أصرم من الخير، فإنه كذاب وضاعٌ. ورواه نهشل الخراساني، عن الضحاك ابن مزاحم أنه اجتمع هو والحسن بن أبي الحسن ومكحول الشامي وعمرو بن دينار المكيّ وطاووس اليماني، فاجتمعوا في مسجد الخيف، فارتفعت أصواتُهم، وكثُر لغطُهم في القدر، فقال طاووس وكان فيهم مرضيًا: أنصتوا حتى أخبركم ما سمعتُ من أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله افترض عليكم فرائض...» الحديث. وفي آخره: نقول ما قال ربنا ونبينا ﷺ، الأمور بيد الله، من عند الله مصدرُها، وإليه مرجعُها، ليس إلى العباد فيها تفويضٌ ولا مشيئةٌ. فقاموا وهم راضون بقول طاووس.

أخرجه الدارقطني (٢٩٧/٤-





٢٩٨) من طريق إسحاق الأزرق، عن أبي عمرو البصريّ، عن نهشل الخراساني بهذا. وسنده مثل سابقه ساقط، ونهشل كذبه ابن راهويه، وتركه النسائي وأبو حاتم والكلامُ فيه طويل الذيل. وللفقرة الثالثة طريق آخر عن أبي الدرداء، وهي قوله: «وما سكت عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما كان ربك نسيا﴾.

أخرجه البزار (١٢٣، ٢٢٣١، ٢٨٥٥- كشف الأستار) عن إسماعيل بن عياش. والحاكم (٢/٣٧٥)، وعنه البيهقي (١٠/١٢) عن أبي نعيم الفضل بن دكين، كليهما عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبيه، عن أبي الدرداء مرفوعًا: «ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرامٌ، وما سكت عنه...» قال الحاكم: «صحيح الإسناد». وقال البزار: «إسناده صالح». وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧١).

وله شاهدٌ من حديث سلمان الفارسي بسند ضعيف خرَّجتُهُ في «تنبيه الهاجد» (١١٦٢).

يسأل: رباح عبد العظيم- قويسنا- المنوفية- عن درجة حديث: «أنهار الجنة تفجر من تحت جبال المسك».

والجواب بحول الملك الوهاب: أنه حديث حسن.

أخرجه ابن حبان (٢٦٢٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٣٢٦)، والحاكم- كما في «حادي الأرواح» (ص١٢٣)- وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٣)، والبيهقي في «البعث» (٢٦٦) من طرقٍ عن أسد بن موسى، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة مرفوعًا: «أنهار الجنة تفجرُ من تحت تلال- أو من تحت جبال- المسك». ولفظ البيهقي: «من سرَّه أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سرَّه أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية، عدلت بحلية أهل الدنيا جميعًا، لكان ما يُحلِّيه به الله عز وجل به في الآخرة، أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا». وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٢/ق٢٦٦/١) قال: حدثنا مقدام، ثنا أسد بن موسى ثنا ابن ثوبان بهذا الإسناد بالفقرة الأولى والثانية، ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان، إلا أسد بن موسى». وهذا سندٌ حسنٌ كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٥٢٢). وقال المنذري في «الترغيب» (٣/١٠٠، ٢٦٢): «رواه الطبراني في «الأوسط» ورواته ثقات، إلا شيخه المقدام بن داود، وقد وثقه». انتهى. وقد رأيت أنه لم يتفرد به المقدام فتابعه الربيع بن سليمان عند البيهقي على محلِّ الشاهد.

والحمد لله رب العالمين.

قصة صنم بوانة وما حدث فيه



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والخطباء والقصاص .

وقبل الشروع في سرد القصة الواهية لهذا العدد ، نحب أن نشير إلى أن رسولنا الكريم ﷺ كان محفوظًا في صغره بحفظ الله تعالى محميًا مصونًا عن القبائح وأخلاق الجاهلية ، وقد وردت الأحاديث الصحاح بذلك ، وسنوردها في نهاية المقال ففيها كفاية عما يسوقه القصاص والوعاظ من القصص الواهية ، كالقصة التي بين أيدينا وهي :

أولاً : متن القصة :

رُوي عن ابن عباس قال : حدثتني أم أيمن قالت : كان ببوانة صنم تحضره قريش تعظمه ، تنسك له النسائك ، ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يومًا إلى الليل ، وذلك يومًا في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله ﷺ ذلك ، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن : إنا لنخاف عليك فما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وجعلن يقلن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدًا ولا تكثّر لهم جمعًا ، قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إلينا مرعوبًا فزعًا ، فقالت له عمّاته : ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لمم ، فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ؟ فما الذي رأيت : قال : إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه ، قالت : فما عاد لعيد لهم حتى تنبأ». اهـ.

ثانيًا : التخريج :

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧٥/١) ، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٥٨) من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، عن عكرمة عن ابن عباس به». اهـ.

ثالثًا : التحقيق :

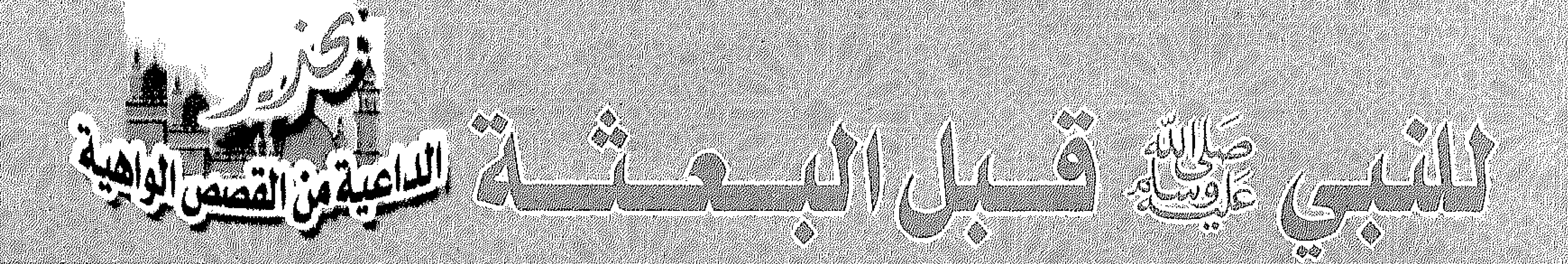
القصة : موضوعة ، فهي واهية باطلة ، وإلى القارئ الكريم بيان ما بها من علل :

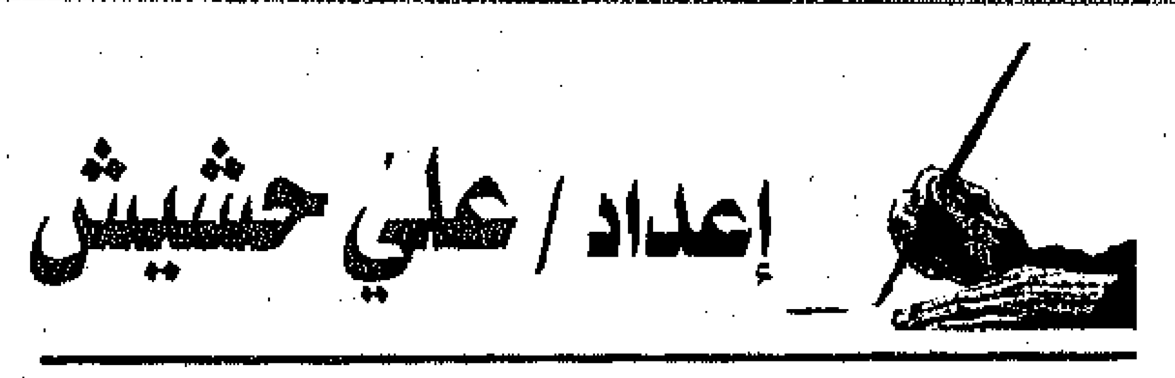
الأولى : حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس :

١- أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٢٩٧/٤٦٩/٤) ، وذكر الذين روى عنهم ومنهم : عكرمة مولى ابن عباس ، ثم ذكر الذين رووا عنه ، ومنهم : أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة .

٢- أورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمجروحين» رقم (١٤٥) وقال: «متروك الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي ، يبيّن





ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩) حيث قال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ .

٣- وأورده الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٢/٣٨٨/٢٨٧٢) وقال: «حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس الهاشمي عن كريب وعكرمة ، قال عليّ : تركت حديثه». اهـ .

كذلك قال في كتابه «الضعفاء الصغير» برقم (٧٨) .

٤- وأورده ابن عدي في كتابه «الكامل» (٢/٣٤٩) (١١١/٤٨٠) ، وأخرج قول علي بن المديني بأنه ترك حديثه وأخرج أيضًا قول النسائي : «متروك الحديث».

٥- وأورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/٢٤٥/٢٩٣) ، وأخرج أيضًا قول الإمام علي بن المديني شيخ البخاري ، ثم ختم الترجمة قائلاً : «وله غير حديث لا يتابع عليه من حديث ابن عباس» . اهـ.

٦- وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٤٢) : «يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل». اهـ .

٧- ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢/٢٩٦) عن البخاري قوله : «يقال أنه كان يتهم بالزندقة» . اهـ .

٨- وما نقله الحافظ ابن حجر نقله أيضًا الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٥٣٧/٢٠١٢) .

العلة الثانية:

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة .

١- أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/٧٥/٣٨٣٤) قال : أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري السبري المدني .

قلت : لقد ذكرت الترجمة كاملة حتى أقف على حقيقة الراوي لأن الإمام أبا نعيم أورده في «الدلائل» (ص٥٨) بالكنية والنسب فقط ، حيث قال: حدثنا عمرو بن محمد بن جعفر ، قال : حدثنا إبراهيم بن علي قال : حدثنا النضر بن سلمة ، قال: حدثنا عبد الجبار بن سعيد أبو معاوية المساحقي ، عن أبي بكر العامري ، عن حسين بن عبد الله به .

في الوقت الذي أورده ابن سعد في «الطبقات» (١/٧٥) بالكنية دون النسب العامري حيث لم يصل باسم الراوي إليه حيث قال : أخبرنا محمد ابن عمر قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس به .

قلت : ثم ذكر الذين روى عنهم ومنهم : حسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، ثم ذكر الذين رووا عنه ومنهم : محمد بن عمر الواقدي». اهـ .

وإلى القارئ الكريم أقوال علماء الجرح والتعديل فيه بعد هذا التثبت :

٢- قال الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٣/١٤٧) : «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة السبري من أهل المدينة ، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه ولا الاحتجاج به بحال، كان أحمد بن حنبل يكذبه». اهـ .

٣- قال النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦٦٦) : «أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة : متروك الحديث».

٤- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٣٠٥/١٠٠٢٤) وقال : «روى عبد الله وصالح ابنا أحمد عن أبيهما قال : كان يضع الحديث» . ثم نقل عن ابن معين قوله : «ليس حديثه بشيء».

٥- أورده الإمام الحافظ ابن عدي في كتابه «الكامل» (٢٩٥/٧) (٢٢٠٠/١٢) حيث أخرج بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: «ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب».

وقال ابن عدي: حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة المدني: منكر الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح بالنسبة للإمام البخاري له معناه، حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عن: فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

ثم ختم ابن عدي الترجمة قائلاً:

«ولأبي بكر بن أبي سبرة غير ما ذكرت من الحديث وعامة ما يرويه غير محفوظ، وهو في جملة من يضع الحديث». اهـ.

العلة الثالثة:

محمد بن عمر الواقدي: وهو الراوي لهذه القصة عن أبي بكر بن أبي سبرة عند ابن سعد كما بينا آنفًا.

١- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣).

ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «هو كذاب يقلب الأحاديث».

ونقل عن الإمام ابن معين قوله: «ليس بشيء».

ونقل عن الإمام ابن راهويه قوله: «هو عندي ممن يضع الحديث».

ثم ختم ترجمته بقوله: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي». اهـ.

٢- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» رقم (٣٣٤): «متروك الحديث».

٣- وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠/٨): «سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي فقال: متروك الحديث». اهـ.

العلة الرابعة:

عبد الجبار بن سعيد أبو معاوية المساحقي:

وهو الراوي لهذه القصة عن أبي بكر بن سبرة عند أبي نعيم كما بينا آنفًا.

أورده الإمام العقيلي في الضعفاء الكبير (١٠٥٦/٨٦/٣) وقال: «عبد الجبار بن سعيد المساحقي مديني في حديثه مناكير وما لا يتابع عليه».

وأقره على ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٧٤٠/٥٣٣/٢)، والحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٧٤/٣) (٤٩٠٦/٥٥٥).

قلت: يتبين من هذا التحقيق ما في سند القصة من الوضاعين والكذابين والمتروكين والذي به تصبح هذه القصة واهية موضوعة.

البدائل الصحيحة

ومن البدائل الصحيحة التي تدل على أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها بما فيه غنى عن مثل هذه القصص الواهية. ما أخرجه البخاري في صحيحه ح(٣٦٤)، (١٥٨٢)، ح(٣٨٢٩) ومسلم في صحيحه ح(٣٤٠)، وأحمد في مسنده (٣٨٠/٣)، ح(١٥١١٠) والبيهقي في السنن (٢٢٧/٢) من حديث جابر بن عبد الله قال: لما بُنيتْ الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان حجارة فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة، ففعل فخرَّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال: إزاري إزاري فشد عليه إزاره». وهذا اللفظ متفق عليه عند مسلم والبخاري ح(١٥٨٢) وزاد البخاري في ح(٣٦٤)، فما رأي بعد ذلك عريانا ﷺ قال النووي في شرح مسلم: «وفي هذا الحديث بيان بعض ما أكرم الله سبحانه وتعالى به رسوله ﷺ. وأنه كان مصونا محميًا في صغره عن القبائح وأخلاق الجاهلية.

والله من وراء القصد.



التلفظ بالطلاق ثلاثًا

يسأل: أ. م: هل الطلاق ثلاثًا في وقت واحد طلاق بدعي يأثم فاعله، وهل هذا الطلاق يقع واحدة أم ثلاثًا؟

الجواب: نحن ننصح من طلّق أن يواجه المفتي مواجهة، ولا يكون السؤال والجواب عن طريق الكتابة في المجلات والجرائد؛ لأن الأحوال تختلف، وقد يُطبق قارئٌ جوابًا قرأه على نفسه -مثلاً- مع أن الجواب لا يصلح له، ولا ينطبق على حاله، وأما الطلاق ثلاثًا بلفظ واحد فهو بدعي، وعلى المسلم أن ينأى بنفسه عن البدع، والفتوى على أنه يقع طلقة واحدة خلافًا لما عليه الجمهور.

حكم الاستمناء

يسأل سائل عن حكم إنزال المني باليد، أو ما يسمى بالاستمناء؟

الجواب: الاستمناء حرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فليس هناك سبيل لقضاء الوطر إلا الزوجة أما من يستمني فهو باغٍ، ملوم، عادٍ، والنبي ﷺ حين وصى المستطيع من الشباب بالزواج، وصى من لم يستطع بقوله: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم». ولو كان هناك سبيل مباح لصرف الشهوة لبينه، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

مواريث

يسأل سائل: توفى عمي وترك زوجة وابنة وابنَيْ أخ ثم توفيت الزوجة وتركت ابنتها.

فكيف توزع تركة عمي، وكيف توزع تركة زوجة عمي؟

الجواب: توزع تركة العم على النحو التالي:

للزوجة الثمن فرضًا

وللبنت النصف فرضا

والباقي لابني الأخ تعصيبًا

وتوزع تركة الزوجة على النحو التالي:

للبنت النصف فرضًا، والباقي ردًا ولا شيء لأبناء أخ زوجها لأنهما ليسا من أقاربها. والله أعلم.

المهدي حقيقة لا خرافة

يسأل محمد السيد - سوهاج - جرجا: عن حقيقة المهدي المنتظر الذي كثرت عنه الأقاويل هذه الأيام، وهل هذا «المهدي» سيكون سببًا في توحيد صفوف المسلمين وضمهم في دولة واحدة كما كانوا من قبل. وإن كان هذا القول صحيحًا فما هي صفاته وما هو الوقت المرتقب لظهوره؟

الجواب: المهدي المنتظر الذي يؤمن بظهوره أهل السنة رجل من أهل البيت، اسمه محمد بن عبد الله، يظهره الله في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، ويحيي السنة، ويميت البدعة، وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء في زمانه، ويصلي وراءه، وقد تواترت الأحاديث بخروجه فكان الإيمان به واجبًا.

ومن شاء المزيد فعليه بمراجعة «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» لفضيلة الشيخ عبد المحسن العبّاد، و«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» لفضيلة الشيخ حمود التويجري، وكتاب «المهدي» للدكتور محمد إسماعيل.

ما يحرم من الرضاعة

يسأل: ع. م. ع. محافظة كفر الشيخ - القنطرة البيضاء يقول: أنا شاب أريد الزواج من ابنة خالي، ولكني قد رضعت من أختها الكبرى، ولا أحد يذكر عدد الرضعات ولكن قيل إنني قد رضعت يومين أو ثلاثة.

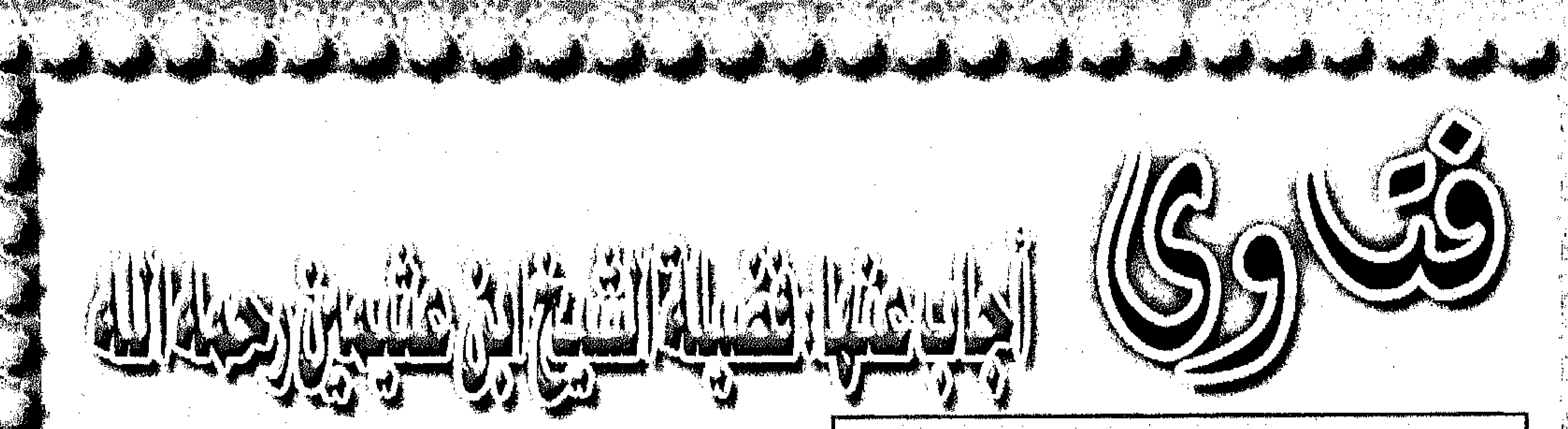
الجواب: من الخطأ اعتقاد أن الحرمة التي تثبت بالرضاع تقتصر على الطفلين اللذين اجتمعا على الثدي وقت الرضاع، والصواب أن الحرمة دائرتها واسعة، بينها النبي ﷺ بقوله: «ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» [متفق عليه] فبالنسبة للشاب السائل الذي رضع من امرأة خاله تحرم عليه ابنة خاله التي رضع معها، وتحرم عليه سائر أخواتها اللاتي وُلدن قبلها وبعدها، ثم تتسع الدائرة حتى تشمل المذكورات في الحديث السابق. والرضاع الذي تثبت به الحرمة هو ما كان في الحولين، وبلغ خمس رضعات.

وقولك: إنك رضعت يومين أو ثلاثة يدل على أنك رضعت أكثر من خمس، فالحرمة ثابتة بينك وبين بنات خالك. ونحن ننصح المسلمين بالاحتياط في النكاح إذا قيل هناك رضاع، وإن لم يكن خمسًا، لما رواه البخاري وغيره عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتيني، فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال ﷺ: «كيف وقد قيل؟» ففارقها عقبة، ونكحت زوجًا غيره.

حكم القيام جماعة في غير رمضان

يقول سائل: نصلي في مسجدنا ليلة الاثنين وفي مسجد آخر ليلة الخميس من كل أسبوع ركعتين جماعة بنية قيام الليل، وندعو الله فيهما أن يفرج عن أمتنا، ولما دخل علينا شهر ذي الحجة دعونا الناس في مساجد قريتنا إلى صلاة ركعتين جماعة عقب صلاة العشاء طيلة أيام العشر بنية قيام الليل ونقنت في هذه الصلاة، فخرج علينا البعض وزعم أن هذا لا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ لم يجمع الناس في القيام إلا في رمضان. فنرجو من فضيلتكم بيان الحق في ذلك حسمًا للخلاف؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: الأصل في العبادة التوقيف، وأنه لا يُعبد الله إلا بما شرع على لسان رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، فلابد لكل مسلم إذا همّ بعبادة أن يسأل نفسه سؤالين: لمن؟ وكيف؟ والجواب عن الأول: لله، والثاني: على طريقة رسول الله ﷺ، فإن اتفق الجوابان فاعزم على العمل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وإذا تخلف أحدهما لم يجز للمسلم أن يقدم على تلك العبادة؛ لأن ما ليس لله مردود على صاحبه، وكذلك ما كان على غير طريقة رسول الله ﷺ. والحقيقة أن الذين نصحوكم بعدم هذا العمل قد أصابوا؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ، والمسلم وقاف عند شرع الله، مستجيب له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.



الختان في الشريعة الإسلامية

سئل: ما حكم الختان في حق الرجال والنساء؟

أجاب: حكم الختان محل خلاف، وأقرب الأقوال أن الختان واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء، ووجه التفريق بينهما أن الختان في حق الرجال فيه مصلحة تعود إلى شرط من شروط الصلاة وهو الطهارة؛ لأنه إذا بقيت القلفة، فإن البول إذا خرج من ثقب الحشفة بقي وتجمع في القلفة وصار سببًا للالتهابات، أو لكونه كلما تحرك خرج منه شيء فيتنجس بذلك.

أما المرأة فإنه غاية ما فيه من الفوائد أنه يقلل من غُلمتها- أي شهوتها- وهذا طلبُ كمال، وليس من باب إزالة الأذى.

ودليل وجوب الختان في حق الرجال:

أولاً: أنه وردت أحاديث متعددة بأن النبي ﷺ أمر من أسلم أن يختتن، والأصل في الأمر الوجوب.

ثانيًا: أن الختان ميزة بين المسلمين والنصارى، حتى كان المسلمون يعرفون قتلاهم في المعارك بالختان، فقالوا: وإذا كان ميزة فهو واجب لوجوب التمييز بين الكافر والمسلم، ولهذا حرم التشبه بالكفار لقول النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

ثالثًا: أن الختان قطع شيء من البدن، وقطع شيء من البدن حرام، والحرام لا يُستباح إلا لشيء واجب. فعلى هذا يكون الختان واجبًا.

رابعًا: أن الختان يقوم به ولي اليتيم وهو اعتداء عليه واعتداء على ماله، لأنه سيعطي الخاتن أجره، فلولا أنه واجب لم يجز الاعتداء على ماله وبدنه، وهذه الأدلة الأثرية والنظرية - أو النقلية والعقلية - تدل على وجوب الختان في حق الرجال.

أما المرأة ففي وجوبه عليها نظر؛ فأظهر الأقوال: أنه واجب على الرجال دون النساء، وهناك حديث ضعيف وهو: «الختان سنة في حق الرجال، ومكرمة في حق النساء». [أخرجه الإمام أحمد في المسند ٧٥/٥]. فلو صح هذا الحديث لكان فاصلاً.

من أحكام الوضوء

سئل: ما معنى الترتيب في الوضوء؟ وما المراد بالموالاة في الوضوء؟ وما حكمها؟

أجاب: الترتيب في الوضوء معناه أن تبدأ بما بدأ الله به، وقد بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه، ثم غسل اليدين، ثم مسح الرأس، ثم غسل الرجلين، ولم يذكر الله تعالى غسل الكفين قبل غسل الوجه، لأن غسل الكفين قبل غسل الوجه ليس واجبًا بل هو سنة، هذا هو الترتيب أن تبدأ بأعضاء الوضوء مرتبة كما رتبها الله عز وجل لأن النبي ﷺ لما حج وخرج إلى المسعى بدأ بالصفا، فلما أقبل عليه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ابدأ بما بدأ الله به، فبين أنه إنما أتى إلى الصفا قبل المروة ابتداءً بما بدأ الله به.

وأما الموالاة فمعناها: أن لا يفرق بين أعضاء الوضوء بفصل بعضها عن بعض، مثال ذلك لو غسل وجهه، ثم أراد أن يغسل يديه ولكن تأخر، فإن الموالاة قد فاتت، وحينئذ يجب عليه أن يعيد الوضوء من أوله؛ لأن الوضوء عبادة واحدة، والعبادة الواحدة لا يُبني بعضها على بعض مع تفرق أجزائها.

فالصحيح: أن الترتيب والموالاة فرضان من فروض الوضوء.

أحكام الجنابة

سئل: ما هي الأحكام المتعلقة بالجنابة؟

أجاب: الأحكام المتعلقة بالجنابة هي:

أولاً: أن الجُنُبَ تحرم عليه الصلاة، فرضها ونفلها، حتى صلاة الجنازة؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

ثانيًا: أن الجنب يحرم عليه الطواف بالبيت، لأن الطواف بالبيت مُكث في المسجد، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣].

ثالثًا: أنه يحرم عليه مس المصحف، لقول النبي ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر». [رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٨٠)].

رابعًا: أنه يحرم عليه المكث في المسجد إلا بوضوء لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣].

خامسًا: يحرم عليه قراءة القرآن حتى يغتسل؛ لأن النبي ﷺ كان يُقرئ الصحابة القرآن ما لم يكونوا جُنبًا. قصد الشيخ بهذا حديث عليّ قال: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن ما لم يكن جنبًا. [رواه أحمد (ح٦٢٧ ج١)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر. وقال: وصححه أيضًا الحاكم ووافقه الذهبي].

هذه الأحكام الخمسة التي تتعلق بمن عليه جنابة.

حكم المضمضة والاستنشاق في الوضوء

سئل: إذا اغتسل الإنسان ولم يتمضمض ولم يستنشق فهل يصح غسله؟

أجاب: لا يصح الغسل بدون المضمضة والاستنشاق؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾. يشمل البدن كله، وداخل الفم والأنف في البدن الذي يجب تطهيره، ولهذا أمر النبي ﷺ بالمضمضة والاستنشاق في الوضوء، لدخولهما في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. فإذا كانا داخلين في غسل الوجه -والوجه مما يجب تطهيره وغسله في الطهارة الكبرى- كان واجبًا على من اغتسل من الجنابة أن يتمضمض ويستنشق.

وصية الميت بنقل جثمانه

سئل: ما رأيكم فيمن يوصي إذا مات أن يدفن في المكان الفلاني، هل تنفذ هذه الوصية؟

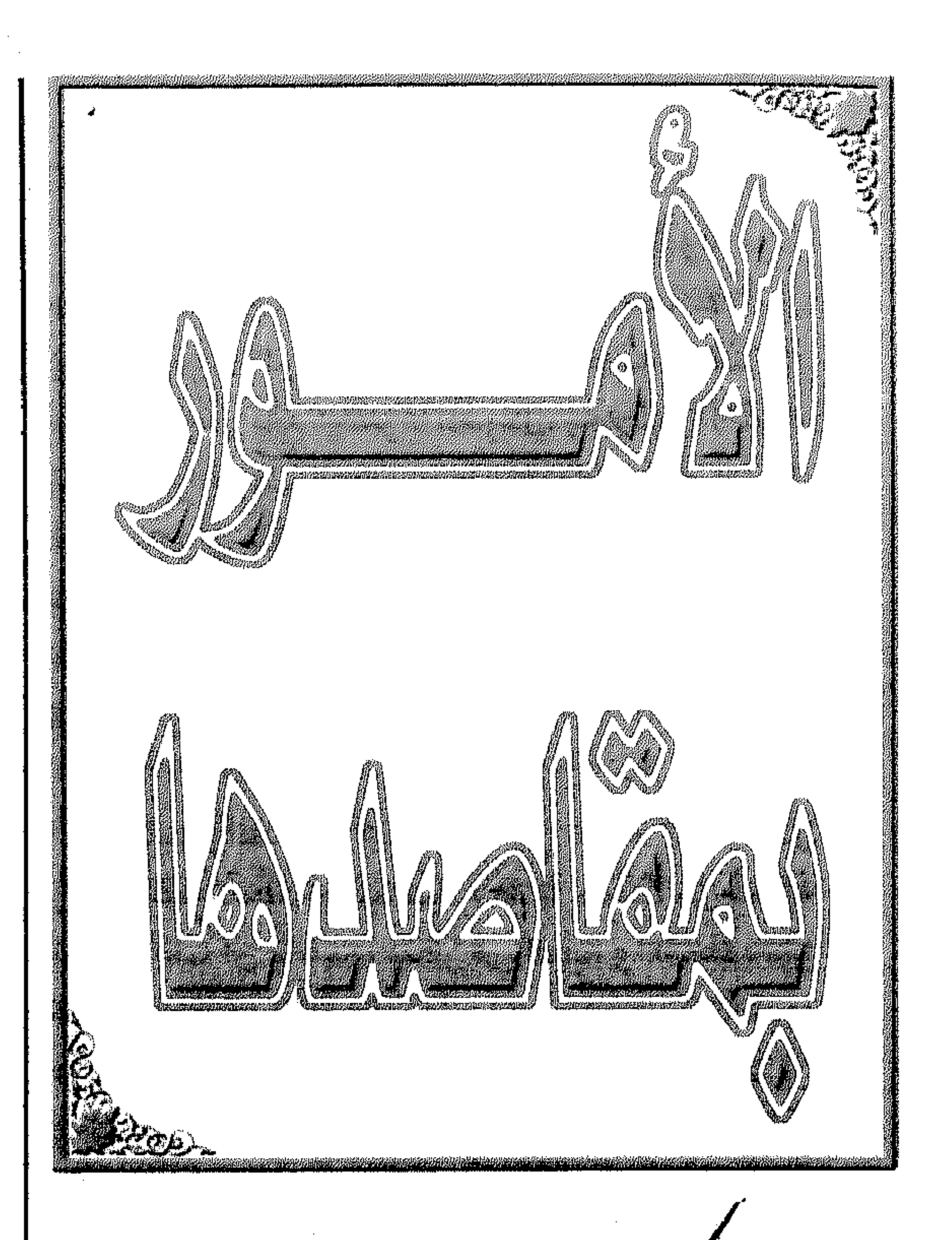
أجاب: أولاً: لابد أن يسأل لماذا اختار هذا المكان؟ فلعله اختاره إلى جنب ضريح مكذوب، أو إلى جنب ضريح يُشرك به مع الله، أو لغير ذلك من الأسباب المحرمة، فهذا لا يجوز تنفيذ وصيته، ويدفن مع المسلمين إن كان مسلمًا.

أما إذا كان أوصى لغير هذا الغرض، بل أوصى أن ينقل إلى بلده الذي عاش فيه فهذا لا حرج أن تنفذ وصيته إذا لم يكن في ذلك إتلاف للمال، فإذا كان في ذلك إتلاف للمال بحيث لا ينقل إلا بدراهم كثيرة فإنها لا تنفذ وصيته حينئذ وأرض الله تعالى واحدة، مادامت الأرض أرض مسلمين.

الصلاة على الغائب

سئل: هل تشرع الصلاة على الغائب مطلقًا أم لها شروط معينة؟

أجاب: القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الصلاة على الغائب غير مشروعة إلا لمن لم يصلّ عليه، كما لو مات شخص في بلاد الكفار ولم يُصلّ عليه أحد، وأما من صُلّي عليه فالصحيح أن الصلاة عليه غير مشروعة، لأن ذلك لم يرد في السنة إلا في قصة النجاشي، والنجاشي لم يُصلّ عليه في بلده، فلذلك صلى عليه النبي ﷺ في المدينة، وقد مات الكبراء والزعماء في عهد النبي ﷺ ولم يُنقل أنه صلى عليهم، وقال بعض أهل العلم: من كان فيه منفعة في الدين بماله، أو عمله، أو علمه فإنه يُصلى عليه صلاة الغائب، ومن لم يكن كذلك فلا يُصلى عليه. وقال بعض أهل العلم: يُصلى على الغائب مطلقًا، وهذا أضعف الأقوال.



إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الأمور جمع أمر، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

والأمور بمقاصدها، أصل عظيم وقاعدة كبرى من قواعد الفقه الإسلامي، ومعناها: أن أعمال الشخص وتصرفاته تختلف أحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص من تلك الأعمال والتصرفات، فالقصد (النية) هو الميزان الذي توزن به أعمال الشخص، وهو المرجع في الحكم عليها من حيث الحل والحرمة والصحة والفساد.

أولاً: الأصل في استنباط الأمور

الأصل في ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها، أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». [متفق عليه].

يقول ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»: «والنبي ﷺ قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، فبيَّن ﷺ في الجملة الأولى، أن العمل لا يقع إلا بنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم بيَّن في الجملة الثانية، أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذه تعمُّ العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال.

وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، قال الحافظ ابن حجر: «وقد اتفق عبدالرحمن بن مهدي، والشافعي فيما نقله عنه البُوَيْطي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني، وحمزة الكِناني: على أنه ثلث الإسلام، ومنهم من قال: ربعه، واختلفوا في تعيين الباقي. وقال ابن مهدي أيضًا: يدخل في ثلاثين بابًا من العلم، وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا، ويحتمل بهذا العدد المبالغة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضًا: ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب.

ووجَّه البيهقي كونه ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها، لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها.

وكلام الإمام أحمد يدل على أنه بكونه ثلث العلم أنه أراد أحد القواعد الثلاث التي تُرَدُّ إليها جميع الأحكام عنده، وهي هذا «حديث الأعمال بالنيات»، «ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، و«الحلال بيِّن والحرام بيِّن» الحديث. [فتح الباري ج١].

ثانيًا: شواهد هذه القاعدة

شواهدها كثيرة جدًا من الكتاب والسنة، فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

قوله عز وجل: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

قوله جل شأنه: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء].

وقال السيوطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، أصلٌ لقاعدة الأمور بمقاصدها، فربَّ أمر مباح أو مطلوب لمقصد، ممنوع باعتبار مقصد آخر. [الإكليل].

أما في السنة فهناك أحاديث كثيرة تشهد لهذه القاعدة، منها ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم. قالت: قلتُ: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم». [متفق عليه].

وما رواه معن بن يزيد رضي الله عنه قال: وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها، فأتيته بها.

فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ. فقال: لك ما نويتَ يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن. [البخاري ١٤٢٢].

«فوضعها عند رجل: أي أذن له أن يتصدق بها على محتاج وأطلق الإذن فجاء ابن معن فرأى الرجل أنه محتاج فأعطاها له».

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها في فِي (فم) امرأتك. [البخاري ٥٣٥٤].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية. [البخاري ٢٧٨٣].

ثالثاً: أمثلة لتطبيقات هذه القاعدة

١- الوكالات: لو وكَّل إنسان غيره بشراء فرس معين أو نحوه فاشترى الوكيل فرسًا، ففيه تفصيل: إن كان نوى شراءه للموكِّل، أو أضاف العقد إلى دراهم الموكِّل يقع الشراء للموكِّل، وإن نوى الشراء لنفسه أو أضاف العقد إلى دراهم نفسه يقع الشراء لنفسه وإن تكاذبا في النية يحكم النقد، فيحكم بالفرس لمن وقع نقد الثمن من ماله لأن في هذا دلالة ظاهرة على أنه أريد الشراء لصاحب النقد المدفوع ثمنًا للفرس.

٢- الإحرازات (استملاك الأشياء المباحة):

النية والقصد هنا شرط في إفادة الملك. مثل رجل وضع شبكة صيد فوقع فيها صيدٌ، هل يملكه أم لأي أحد أن يأخذه، يُنظر في النية والمقصد، فإن كان نشر الشبكة لتجفيفها مثلاً ووقع الصيد فيها فإنه لا يملكه ولغيره أن يستملكه بالأخذ، أما إن وضعها من أجل الصيد، فما صادته يكن ملكًا وليس لأحد أن يأخذه. [المجلة العدلية مادة ١٣٠٣].

٣- الأمانات والضمانات:

مثل اللقطة: فإن التقطها ملتقط بنية حفظها لمالكها كانت أمانة لا تُضمن إلا بالتعدي، وإن التقطها بنية أخذها لنفسه كان في حكم الغاصب فيضمن إذا تلفت في يده بأي صورة كان تلفها، والقول للمتلقط بيمينه في النية لو اختلفا فيها.

وكذا لو التقطها ثم ردها لمكانها، فإن كان التقطها للتعريف لم يضمن بردها مكانها سواء ردها قبل أن يذهب بها أو بعده وسواء خاف بإعادتها هلاكها أو لا، وإن كان التقطها لنفسه لا يبرأ بإعادتها لمكانها ما لم يردها لمالكها. [الدر المختار وحاشيته رد المحتار].

ومثل الوديعة: فإن المودع إذا استعملها ثم تركها بنية العود إلى استعمالها لا يبرأ عن ضمانها لأن تعديه باق، وإن كان تركها بنية عدم العود إلى استعمالها يبرأ، ولكن لا يصدَّق في ذلك إلا ببينة.

رابعاً: قواعد تندرج تحت قاعدة الأمور بمقاصدها

١- المقصود من النية تمييز العبادات من العادات، وتمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض:

يقول ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «ولهذا لو وقع في الماء ولم ينو الغسل، أو دخل الحمام

للتنظيف، أو سبح للتبرد، لم يكن غسله قربة ولا عبادة بالإتفاق، فإنه لم ينو العبادة فلم تحصل له، ولو أمسك عن المفطرات عادة واشتغالاً، ولم ينو القربة لم يكن صائمًا».

٢- الثواب لا يكون إلا بالنية:

لأن المقصود منها تمييز العبادة عن العادة.

٣- اللفظ الصريح يحتاج إلى نية:

الأصل أن «الصريح لا يحتاج إلى نية» لانصرافه بصراحته إلى مدلوله، لكن إذا ظهر القصد بخلافه افتقر إلى نية.

يقول ابن القيم: إذا قال العبد لسيده- وقد استعمله في عمل يشق عليه-: اعتقني من هذا العمل، فقال: أعتقك، ولم ينو إزالة ملكه منه لم يعتق بذلك.

وكذلك إذا قال عن امرأته: هذه أختي، ونوى أخته في الدين، لم تحرُم بذلك ولم يكن مظاهرًا، وكذلك المتكلم بالطلاق والعتاق والوقف واليمين والنذر مكرهًا لا يلزمه شيء من ذلك لعدم نيته، وقد أتى باللفظ الصريح.

ولو قال الأعجمي لامرأته: «أنت طالق»، وهو لا يفهم معنى هذا اللفظ لم تطلق، لأنه ليس مختارًا للطلاق، فلم يقع طلاقه كالمكره. [إعلام الموقعين].

٤- الكناية مفتقرة إلى نية:

ومنها ألفاظ الطلاق بالكناية فإنها تقع إذا اقترنت بنية التطليق.

٥- تخصيص العام بالنية وتقييد المطلق:

قال ابن القيم: قال أصحاب أحمد وغيرهم، لو قال: نسائي طوالق، واستثنى بقلبه إلاَّ فلانه صحَّ استثناؤه، ولم تطلُق. ولو قال نسائي الأربع طوالق واستثنى بقلبه إلاَّ فلانة لم ينفعه، وفرقوا بينهما بأن الأول ليس نصًا في الأربع فجاز تخصيصه بالنية بخلاف الثاني.

وهل يجوز الاستثناء بالقلب؟

عقد ابن القيم فصلاً في «إعلام الموقعين» سماه: هل يصح الاستثناء في القلب: قال فيه: المشهور من مذاهب الفقهاء أنه لا ينفعه حتى يتلفظ به، ونص عليه أحمد، فقال: لا يجوز له أن يستثني في نفسه حتى يتكلم به.

وقد قال صاحب المغني وغيره: إذا قال: «أنت طالق»، ونوى بقلبه من غير نطق إذا دخلت الدار أو بعد شهر أنه يُديَّن فيما بينه وبين الله تعالى، وهل يقبل في الحكم. على روايتين:

وفي مسألة: هل يصحُّ الاستثناء بتحريك اللسان.

عقد ابن القيم فصلا لها أيضًا في «إعلام الموقعين» قال فيه: فاشترط أصحاب أحمد وغيرهم أنه لا بد وأن يكون بحيث يسمعه هو أو غيره. ولا دليل على هذا من لغة ولا عرف ولا شرع، وليس في المسألة إجماع، وكان شيخ الإسلام يميل إلى القول بأنه (المستثنى) لابد أن يسمع نفسه.

٦- اعتبار النية في الأيْمان:

أي حمل اليمين على مقتضى النية، فإن عُدِمت النية رجع إلى سبب اليمين وما هيجُها فحُمل اللفظ عليه لأنه دليل على النية.

فمثلاً: إذا حلف على أمر لا يفعله لسبب، فزال السبب، لم يحنث بفعله فإذا دعي إلى شراب مسكر ليشربه، فحلف أن لا يشربه، فانقلبت الخمر خلاً فشربه لم يحنث بفعله.

وكذلك إذا حلف: لا دخلت هذه الدار، وكان سبب يمينه أنها تعمل فيها المعاصي، فزالت المعاصي، وعادت مجمعًا للصالحين، وقراءة القرآن والحديث، فدخلها لم يحنث، وكذلك لو حلف المريض: لا يأكل لحمًا أو طعامًا، وسبب يمينه كونه يزيد في مرضه، فصحَّ هذا المريض، وصار هذا الطعام نافعًا له لم يحنث بأكله.

ومن نظائر هذا أيضًا: لو دُعي إلى طعام فظنه حرامًا فحلف: لا أطعمه، ثم ظهر أنه حلال لا شبهة فيه، فإنه لا يحنث بأكله، لأن يمينه إنما تعلقت به لكونه حرامًا وذلك قصده. [إعلام الموقعين- بتصرف].

٧- اليمين على نية الحالف إن كان مظلومًا، وعلى نية المستحلف إن كان ظالمًا:

يقول ابن القيم: أن يحلف الرجل على شيء في الظاهر، وقصده ونيته خلاف ما حلف عليه، وهو غير مظلوم، فهذا لا ينفعه ظاهر لفظه، ويكون يمينه على ما يصدقه عليه صاحبه اعتبارًا بمقصده ونيته.

ومن ذلك ما نقل عن الإمام أحمد أنه قال:

إن كان مظلومًا فاستثنى في نفسه رجوت أنه يجوز إذا خاف على نفسه.

وقاعدة الأمور بمقاصدها، لها تعريفات كثيرة وتطبيقات متعددة، وما ذكرناه يكفي- إن شاء الله- لإلقاء الضوء على أهميتها.

حرمة أعراض العلماء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وبعد:

فإن من تعظيم حرمات الله تعظيم ما أمر الله بإكرامه وإجلاله، وأولى الناس بذلك هم العلماء.

إعداد/ أحمد سليمان

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل قال: «من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب».

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب؛ بلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

وإن المسيئ إلى العلماء، والطاعن عليهم بغيًا وعدوًا، قد ركب متن الشطط، ووقع في أقبح الغلط، لأن حرمة العلماء مضاعفة، وحقوقهم متعددة، فلهم كل ما ثبت من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولهم حقوق المسنين والأكابر، ولهم حقوق حملة القرآن الكريم ولهم حقوق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين.

وروي عن الإمام أحمد قوله: «لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات».

لحوم أهل العلم مسمومة
ومن يعاديهم سريع الهلاك
فكن لأهل العلم عونًا وإن
عاديتهم يومًا فخذ ما أتاك

فهؤلاء المغتابون المتجرئون على العلماء، الناعقون بين الرعاع هم الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: «إن من الناس مفاتيح للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(٣).

فكم صد أولئك عن الخير وفتحوا أبواب الشر بطعنهم في العلماء وتجريئهم السفهاء، وغمزهم إياهم بالألفاظ النابيات، فيا ليتهم عقدوا مجالسهم للذكر والقرآن، وتدبر السنة وعلم البيان، فما انتفعوا بما قالوا، ولا نفعوا إخوانهم إذ وثقوا بهم.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨): وليس للمعلمين أن يخربوا الناس ويفعلوا ما يلقى بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى وإذا وقع بين معلم ومعلم وتلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة أو مشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوى.

فلما كان الكلام في المسلم عظيم الخطورة،

وخيم العاقبة، وجب التورع في الكلام عن المسلم عامة وعن أهل العلم خاصة.

قال الإمام النووي في رياض الصالحين تحت كتاب الأمور المنهي عنها: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يَعْدِلُها شيء.

ثم قال:

ما يباح من الغيبة

اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو بستة أسباب:

١- التظلم.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب.

٣- الاستفتاء.

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته؛ فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف إذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش. اهـ بتصرف.

وعلى هذا قام علم الجرح والتعديل ووضع العلماء له الضوابط التي تسير عليها، فهو علم اختص به جماعة من الأفذاذ وليس مسرحًا لأنصاف طلاب العلم ولا المتعالمين الجهال.

قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٤/١): حق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم- جهبذا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى العلماء والاتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها
ولو سودت وجهك بالمداد

فإن آنست من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًا وورعًا وإلا فلا تفعل، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب وإن عرفت أنك مخلط مخبِّط مهمل لحدود الله فأرحنا منك. اهـ.

فكيف لو رأى الإمام الذهبي أهل زماننا ممن لا يعد من طلاب العلم، وليس منهم ولا على طريقتهم، ثم تراه نصب نفسه إمامًا في علم الجرح والتعديل وهو لم يتأهل بعد:

«وكيف يطير ولما يريِّش»؟!

ورحم الله الذهبي عندما قال: فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

كلام الأقران في بعض

قد يقع عالم في الطعن على آخر مثله فلا ينبغي أن تطير بما قاله، فربما يخرج الكلام لعداوة أو لحسد أو لمذهب.

قال الإمام الذهبي: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عظم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين(٤).

ورحم الله سلمة بن دينار وهو يصف حال علماء زمانه وما وصلوا إليه من وقيعة بعضهم في بعض، فيقول:

العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يَزْهُ عليه، حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهو على من هو دونه فهلك الناس. اهـ.

فكم قطع كلام الأقران في بعضهم انتفاع الطلاب منهم، وصد الناس عنهم، أبكلمة واحدة يسقط العالم؟ وبهمزة ولمزة يهجر؟ أو بزلة أو سقطة ينتهك عرضه ويهجر قوله؟ والله إن هذا

لهو الشطط والزيغ عن الصراط.

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١٥٠): من صحت عدالته، وثبتت في العلم إمامته، وبانت ثقته، وبالعلم عنايته، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة يصح بها جرحته على طريق الشهادات، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله، فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر.

وساق عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون» .

وإنما نحترمك ما احترمت العلماء:

من الناس من طبعه خنزير يمر على الطيبات فلا يلوي لها عنقًا، فإذا وجد رجيعًا أو روثًا همَّه والتهمه.

فهكذا القلوب المريضة لا تحفظ إلا الشر ولا يستر وجهها إلا سماع السقط، ففي تناقل زلل الناس غايتها المنشودة، وعنايتها الدؤوبة.

قال ابن الأثير: إنما السيد من عدت سقطاته، وأخذت غلطاته، فهي الدنيا لا يكمل بها شيء. اهـ.

فمن لم يحترم العلماء- وإن بدرت منهم بادرة- فليس محترمًا عندهم. ذكر الذهبي في السير (١٩/٥٨١) عن الحافظ ابن عساكر قال: كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيهًا داوديًا، ذُكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء وسمعته وقد ذكر مالك فقال: جلف جاف ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه «الأموال» لأبي عبيد فقال: ما كان إلا حمارًا مغفلاً لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء فاجتمعنا يومًا عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب «الكامل» فجاء فيه: وقال السعدي كذا.

فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له فهو السعدي فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟ فغضب وأخذته الرعدة وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخافونني، فآل الأمر إلى أن تقول فيَّ هذا؟ فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك.

فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة، فهذا كما قالوا:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
شرًا أذاعوه وإن لم يسمعوا كذبوا

وقارن بين هؤلاء وبين ما قاله الإمام الهمام المنصف ابن القيم: «من قواعد الشرع والحكمة أيضًا: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف الماء القليل فإنه لا يحتمل أدنى خبث»(٥).

نصيحة

عليك بالجماعة، وإياك والشذوذ، واشتغل بالعلم، ودعك من قيل وقال، واتق زلة العالم فقد يقول اليوم قولاً ويرجع عنه ويتوب فتتحير ولا تهتدي، صحح نيتك وحدد هدفك واهتم بما ينفعك واهجر ما يضرك، ولا تحمل في قلبك بغضًا وغلاً لمن كان سببًا في هدايتك.

فرب العالمين يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وصلِّ اللهم على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) انظر مقدمة المجموع (ص٢٤).

(٢) انظر حرمة أهل العلم (٩- ١٠).

(٣) انظر السلسلة الصحيحة (١٣٣٢).

(٤) ميزان الاعتدال (١/١١).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/١٧٦).



إعداد

د. محمد يسري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يقوم منهج التربية والتزكية عند أهل السنة والجماعة على المعالم الآتية:

الربانية

إن الربانية هي تحقق بتلك الصلة الوثيقة بالله تعالى، أداءً للفرائض، واجتنابًا للمحارم، واستدامة للذكر، وعناية بالشكر، وتحليًا بالصبر، وإيثارًا للإيثار، واتشاحًا باليقين، وتلذذًا بالصيام، وتنعمًا بالقيام، وتربية بصغار العلم قبل كباره، قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩]، أولئك الربانيون، فهم العلماء العاملون، والحكماء المربون، والفقهاء المعلمون(٤).

إن سياج الربانية يقيم في قلب المتربي فرقانًا بين الحق والباطل، وينشئ حاجزًا بينه وبين مضلات الفتن، ويضبط السلوك ويقيم الجوارح على رعاية السنن والهدي الظاهر، وحسن السمت، وملازمة الأدب، وإذا كان الإسلام هو الدواء الناجع لمشاكل البشرية، فإن العلماء الربانيين الطائفة القائمة على تحقيق ذلك .

الوسطية

فكما أن أهل السنة وسط بين فرق الأمة في مسائل الاعتقاد، فهم أيضًا وسط في باب التربية والسلوك بين طرفي الإفراط والتفريط.

وهم وسط في باب الإخلاص بين المرائين والملامية(٥).

وهم وسط بين المشتغلين بإقامة العبادات القلبية دون العملية كبعض الصوفية، والمشتغلين بإقامة رسوم العبادات الظاهرة فقط كبعض المتفقهة، فكانوا أهل العبادة الظاهرة والباطنة(٦).

وهم وسط بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله، فهم يريدون رضا الله وجنته، وأما غيرهم فمنهم من يريد رضا الله ولا يريد جنته، كحال كثير من المتصوفة، ومنهم من يريد نعيم الجنة المخلوق، ولا يريد رضا الله كحال كثير من المتكلمة(٧).

وهم وسط بين أصحاب التفريط والاستهتار والإسراف والمبالغة في المتع والترف، وأصحاب الإفراط في التصوف والرهبانية والتشديد على النفس وتعذيب البدن.. فلا إسراف في تنعيم الأبدان ولا تنطع وحرمان.

السلفية

ومنهج التربية والتزكية يقوم على موافقة نصوص الشارع في السلوك لفظًا ومعنى، فليس أهل السنة من الذين وافقوا النصوص في اللفظ دون المعنى كالباطنية، وليسوا كالذين تكلموا في المعنى بألفاظ مبتدعة ككثير من الصوفية، وليسوا كالذين خالفوا النصوص لفظًا ومعنى كالفلاسفة والملاحدة، وإنما هم - بحمد الله - أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، الذين أقاموا معالم السلوك وتزكية النفوس، وتحققوا بالمعاني وتمسكوا بالمباني، علمًا وحالاً، وعملاً ومقالاً، فلا يشتبه لديهم الزهد

الشرعي بالعجز والكسل، ولا التوكل بالتواكل، ولا الورع الشرعي بالبدعي.

الإيجابية

وهي تعني المبادرة العملية على وجه السداد والمقاربة، لا المثالية أو السلبية، فهي منهج الواقعية الإيجابية، والتي تعنى القصد في الأمر كله؛ ومراعاة أحوال المكلفين، وتحقيق الملاءمة والمواءمة بين طبيعة هذا الدين وطبيعة المكلفين، وفي الحديث: "سدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا"(٨).

فأولى القربات الفرائض المكتوبات، وأما تكليف النوافل المندوبات فبحسب الوسع والطاقة، و"أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل"(٩)، و"المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا"(١٠)، والمثل الكامل في التربية والسلوك هو رسول الله ﷺ، أطهر الخلق نفسًا وأقومهم منهجًا، كما قال ﷺ: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"(١١).

قال الحسن البصري: "إن هذا الدين دين واصب، وإنه من لا يصبر عليه يدعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف، وكلَّف نفسه ما لا يطيق، أوشك أن يسيِّب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف، وكلَّف نفسه ما تطيق كان أكيس، وأمنعها من العدو، وكان يقال: شر السير الحقحقة(١٢)"(١٣).

ومن سمات الإيجابية: الواقعية في إدراك أن تفاوت القدرات إنما هو بسبب تنوع المواهب واختلاف الاستعدادات؛ ذلك أن الله قسم الأعمال والأخلاق كما قسم الأموال والأرزاق، وعلى كلٍ أن يرضى بما فتح له فيه، وأفضل الأعمال بعد الفرائض يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه.

قال شيخ الإسلام: "وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له، وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقًا، إذا كان متعذرًا في حقة أو متعسرًا يفوته ما هو أفضل له وأنفع"(١٤).

ومن الناس من فتح الله عليه في باب دون باب، ومنهم من فتح الله عليه في كل باب، وضرب له في كل خير بسهم، وما على من دعي يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية من حرج، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وفي الجملة فإن التربية أصل ضخم وأساس متين، لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، وليس له غاية ينتهي عندها، ولا يستغني عنها الكبير فضلاً عن الصغير، ولا المنتهي فضلاً عن المبتدي.

وللتربية أنواع متعددة:

فتربية علمية تؤهل القادرين، وتبني ملكات الفهم، وتضبط قواعد العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وأخرى وجدانية تعنى بالمشاعر، وترعى الخواطر، وتوقظ القلوب، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وثالثة جهادية تحرك إيمان الصادقين، لتدافع عن ديار المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣].

ورابعة إيمانية تصون الإيمان أن يبلى، واليقين أن يُزوى، والفرد أن يتردى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة:١٣٧].

وللتربية مستويات ومجالات: منها ما يوجه للأمة بعامة، ومنها ما يوجه لقاعدة الدعوة بخاصة

ووسائلها جميعًا أعم من الدرس والموعظة والصحبة والرحلة، ولكن جوهرها القدوة!.

آفات التربية

وكما أن لكل عمل عظيم آفات، فمن أخطر آفات التربية: التهوين من شأن العقيدة، وضعف التربية على معانيها، والتربية على التقليد والتعصب لراية أو شعار دون الإسلام، والمغالاة في النظرة للتربية الخاصة على حساب البلاغ المبين للدين، والاهتمام بالشكل دون المضمون، والعناية بالظاهر على حساب الباطن، وفقدان التوازن بين أنواع التربية ومجالاتها، واتخاذ الترخص الجافي منهجًا في مسائل الفقه والأحكام، أو اعتماد التنطع الغالي منهجًا في مسائل التوحيد والإيمان، وكما أن التهور والاندفاع اليائس يعكس خللاً تربويًا، فالتثاقل والتباطؤ ينبئ عن عجز وكسل، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

والله من وراء القصد .

وقفات على طريق طلب العلم

الحلقة الرابعة

إعداد/ فهد اليحيى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

نكمل مع القارئ الكريم ما ابتدأناه من وقفات على طريق طلب العلم.

الوقفة السادسة: حياة العلم مذاكرته

مذاكرة العلم من الحوافز المهمة لتثبيت العلم، والمذاكرة تكون مع النفس وتكون مع الغير. قال علي رضي الله عنه: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم». ذكره ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ١٠١/١، وقصص مذاكرة العلماء مع بعضهم كثيرة ولو راجعت تذكرة الحفاظ أو سير أعلام النبلاء أو غيرها من كتب السير لوجدت الكثير.

وقال ابن جماعة في تذكرة السامع ص١٤٥: فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك على خاطره ، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء ، وقلّ أن يفلح من يقتصر على الفكر والتعقل بحضرة الشيخ خاصة ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده. اهـ .

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح ١٩٩/١ قال: «روى أحمد عن ابن مسعود قال تذاكروا الحديث فإن حياته المذاكرة»، وفي شرح خطبة مسلم : بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر، ويتأكد ويتقرر، ويذاكر مثله في الرتبة أو فوقه أو تحته، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام وليتحر الإنصاف، ويقصد الاستفادة أو الإفادة ولا يترفع على صاحبه. اهـ .

وما أجمل أن يكون لطلاب العلم مجالس يتذاكرون فيها العلم بمعنى أن تكون جُل مجالسنا كذلك

الوقفة السابعة: موقف طالب العلم من اختلاف أهل العلم

الكلام على اختلاف أهل العلم وأسبابه طويل ، وقد أُلِّف فيه وتُكلِّم عنه ، لكن حسبي في مثل هذا المقال أن أشير إلى مهماتٍ فيه لاسيما وأنا أتحدث إلى طالب العلم ، وأما العامة فلهم بيان آخر فيما يتعلق بالاختلاف.

إن طالب العلم ينبغي ألا يضيق بالخلاف ذرعاً، بل إن كثيراً من الخلاف بين أهل العلم في القديم والحديث لا محيد عنه ولا مفرّ، وهو أمر من طبيعة اختلاف البشر واجتهاداتهم وتباين آرائهم وأنظارهم ولكن على الطالب أن يتنبه لأمور:

١- قلّ أن تجد مسألة فقهية بل وغير فقهية حاشا مسائل العقيدة إلا وتجد فيها اختلافاً ، وقل أن تجد حديثاً حاشا ما في الصحيحين إلا وتجد خلافاً في الحكم عليه ، وحين يعرض الشيخ المسألة أو يتعرض لحديث فلا يلزم أن يتعرض للخلاف فيها لأنه لو فعل ذلك في كل مسألة أو حديث لطال الدرس وتشعب حتى لا يكاد الطالب يلمّ به أو بشيء منه فضلاً عن أن هذا يعسُر استيفاؤه ، والغريب أن بعض طلبة العلم يتطلع

دائماً لإيراد الخلاف في كل مسألة مع أنه قد لا يتقن أحكام ما لديه من مسائل على قولٍ واحد.

الاجتهاد في المسائل الخلافية لا يُعارض بمثله

٢ - الخلاف في الترجيح بين الأقوال في المسائل أو في الحكم على الأحاديث ليس على درجة واحدة فمنه الخلاف القوي الذي تكاد تتقابل فيه الأدلة، ومنه الضعيف الذي فيه قول ظاهر القوة وما عداه دون ذلك، ومنه ما بين هذا وذاك .

وعليه فترجيح مجتهد لقول ما في مسألة أو حكم على حديث لا يعني اطِّراح القول المقابل له حتى لا يُنظر إليه ألبتة أو يظن الطالب أن الحكم في المسألة أو على الحديث قد فرُغ منه لاسيما في ما كان الخلاف فيه قوياً ما لم يكن ذلك القول المطَّرح ظاهر الضعف .

وتعجب ممن يقولون لا نقلد أحد المذاهب لكنهم في الحقيقة يقعون في تقليد آخرين من سابقين أو معاصرين .

حتى إن البعض في مذهب الحنابلة مثلاً يدع هذا القول فيه ويذهب إلى القول الآخر فقط لأن شيخ الإسلام - رحمه الله - قال به فضلاً عمن هو دون شيخ الإسلام ولو سألته عن دليل هذا ودليل ذاك لحار جواباً وما علم أنه ترك قول الإمام أحمد - رحمه الله - لقول شيخ الإسلام ، والإمام أحمد أجلّ وأقدم عند الأمة من شيخ الإسلام مع جلالته وإمامته فليس تقليد شيخ الإسلام بأولى من تقليد الإمام أحمد ، بل كل هؤلاء ليس تقليدهم بأولى من تقليد صحابي من الصحابة - رضوان الله عليهم - وكم من قول في مذهب الإمام أحمد يرجح بعض المحققين خلافه وهو قول لصحابي .

فالعبرة بالاتباع وليس بالتقليد ، والعبرة باتباع الدليل بمعنى أن تأخذ بهذا القول لأن دليله أو تعليله أقوى من دليل أو تعليل الآخر - فيما يتبين لك - لا لأن فلاناً قال به فحسب. وكما قدمت سلفاً أن الكلام مع طالب العلم وليس مع العامي لأن العامة لهم في هذا بيان آخر .

والعجب من البعض أيضاً أنهم إذا وجدوا فتوى تخالف ما اعتادوه أو ما مشى عليه الناس في بلدهم بناءً على فتوى علمائهم ، إذا رأوا ذلك طاروا به كل مَطِير وكأنهم ظفروا بما لم يظفر به السابقون، ولم يعلموا أن الاجتهاد لا يعارض بمثله وأن هذه قاعدة عظيمة سارية المفعول لا أعلم أنها انقطعت... فعلامَ يعارضون فتوى فلان بفتوى فلان ؟! ربما لو قلت له إن ما تخالفه هو فتوى فلان من الصحابة أو جُلّ الصحابة لتعجب لأنه كان يظن أن ما ظفر به من الفتوى قاطعُ قولَ كل خطيب ، والخطب أيسر من ذلك بكثير فهذا أداه اجتهاده إلى كذا ، وهذا أداه اجتهاده إلى كذا ، وكلهم يعلم أن المسألة ليست مقطوعاً بها ولا مجمعاً عليها ، ولو اجتمعا في مجلس لم ينكر أحدهما على الآخر ولم يعنفه ، ولكن المصيبة غالباً ما تأتي من النقلة والرواة والأتباع .

وإذا كان هذا في الترجيح في المسائل فمثله يقال في الحكم على الأحاديث والاختلاف فيه فإنك قد تجد من إذا ظفر بمن يضعف حديثاً قد اشتهر عند الناس العمل به لتصحيح بعض علمائهم له من السابقين والمعاصرين ممن شهد له الناس بالمعرفة في هذا الفن إذا ظفر بذلك ظن أن تصحيحه غير معتبر ألبتة وراح يحذر الناس منه وكأنه حديث موضوع اتفق العلماء على تركه ، وهذا الحديث الموضوع هو الذي يُحذَّر منه ، أما أن تؤخذ الأحاديث كلها على درجة واحدة فغير صحيح ، فالحديث الموضوع أو ظاهر الضعف عند العلماء أو كثير منهم فهذا يحذر منه وينبه عليه أما ما كان الخلاف في الحكم عليه موجوداً في السابقين والمعاصرين وليس الضعف فيه بيناً ، بل فيه مجال للاجتهاد فلا ينبغي معاملته كما يعامل الأول ، فهو وإن ضعفه فلان فقد صححه فلان أيضاً ممن هو من أهل هذا الشأن وربما يكون له سلف أيضاً في تصحيحه ، وعلى طالب العلم أن يكون صدره متسعاً لهذا وذاك ، وإذا ضَعّف الحديث متبعاً قول فلان فلا ينبغي أن يكون على وجه الاستهانة بمن صححه أو عدم الاعتبار له ، ولا ينبغي أيضاً أن يحمل الناس على ذلك .

ورحم الله الإمام مالكًا لما صنَّف الموطأ فأراد المنصور أن يحمل الأمصار على العمل به فأبى ذلك الإمام مالك وقال : يا أمير المؤمنين قد انتهى إلى كل بلد علم عملوا به ومضوا عليه فدعهم على ذلك .

والحمد لله رب العالمين .



في إطار التواصل والتآخي بين جماعات الدعوة في مصر وبين الأزهر والأوقاف قام وفد جماعة أنصار السنة المحمدية بزيارة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ جامع الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي وذلك لعرض الجهود الدعوية التي تقوم بها جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر.

وقد رحب فضيلة الإمام بوفد أنصار السنة ترحيبًا حارًا ودعى الله سبحانه أن يوفق الجماعة وعلماءَها إلى ما يحبه ويرضاه.

وقد قام رئيس تحرير مجلة التوحيد بعرض إنجازات مجلة التوحيد التي أصبحت بفضل الله أوسع المجلات الإسلامية انتشارًا في العالم حيث وصل توزيعها إلى قرابة مائة وخمسين ألف نسخة شهريًا.

وقد ضم الوفد كلا من الدكتور جمال المراكبي الرئيس العام للجماعة والشيخ زكريا الحسيني والشيخ أبو العطا عبد القادر والشيخ أحمد يوسف والأستاذ محمد عبد الخالق والأستاذ جمال سعد حاتم.

وقد قدم الوفد الدعوة لفضيلة الإمام لزيارة المركز العام لأنصار السنة وإلقاء محاضرة في مسجد الجماعة بعابدين. وقد وعد فضيلته بتلبية الزيارة في أقرب فرصة بإذن الله تعالى.

كما قام وفد الجماعة بزيارة فضيلة وكيل الأزهر بمكتبه بمشيخة الأزهر.

وفي إطار التعاون في شتى المجالات الدعوية قام وفد من جماعة أنصار السنة المحمدية في يوم الأحد الموافق ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤/٦/٦م بزيارة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف لتنسيق العمل الدعوي بين الجماعة والوزارة استمرارًا للتعاون المستمر والمثمر بين الوزارة وجماعة أنصار السنة، وقد أبدى معالي الدكتور الوزير سروره الشديد وثناءَه على الجهود الدعوية التي تبذلها جماعة أنصار السنة من خلال مساجدها ومعاهدها وفروعها في أنحاء الجمهورية.

كما أبدى معالي الوزير استعداده الدائم للتعاون الوثيق مع الجماعة في شتى المناحي.

وقد كان في استقبال الوفد فضيلة الشيخ شوقي عبد اللطيف وكيل أول وزارة الأوقاف لشئون الدعوة.

وقد ضم الوفد الذي زار معالي الوزير كلا من الشيخ علي حشيش والشيخ أبو العطا عبد القادر والأستاذ محمد عبد الخالق والأستاذ جمال سعد حاتم رئيس تحرير مجلة التوحيد.



إلى كل من يرجو الله واليوم الآخـر بفعل الصالحات؛

فهذا العمل الصالح في انتظارك:



مسحة حنان على رأس اليتيم

لها أجر عظيم.. فكيف بكفالته ..؟



لمن يرغب في التبرع يرجى التوجه إلى المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ٨ شارع قولة. عابدين الدور الخامس



أو الاتصال بهاتف رقم ٣٩٥٩٢٠٣

أو الإرسال على حساب رقم ٢١٣٧٩٧ بنك فيصل الإسلامي

يرجى إرسال صورة الحوالة على الفاكس رقم ٣٩٥٩٢٠٣

أو عمل حوالة بريدية باسم / مدير إدارة الأيتام على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان

فتعاونوا معنا من أجل أيتام المسلمين